

٥٧

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

روايات
مصرية
المجيب



الملف السري



RASHID

WWW.DVD4ARAB.COM

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
الطابق الأول - القاهرة - ١١٤٤٤٤

١ - مغامرة في (سورية) ..

كمن (ممدوح) فوق الربوة العالية ، المظلة على الشاليه
الخشبي ، القابع في بطن الجبل ، وهو يراقبه من كل الجهات ،
بوساطة منظاره ، متفحصا المنطقة المحيطة به ..

كان الشاليه مظلمًا تمامًا ، وقد أسدلت الستائر على بعض
نوافذه ، في حين كانت هناك نوافذ أخرى دون ستائر ، وإن كان
الظلام الذي يلف المكان حائلًا ، بينه وبين تبين ما بداخل
الحجرات ..

كانت المعلومات ، التي وصلت إلى (ممدوح) ، والتي
تطوّعت بها تلك المرأة ، التي سعت لمقابلته بالفندق ليلة
أمس ، تؤكد أنه سيعثر على الرجل المنشود ، في ذلك الشاليه
المخفي في أعماق الجبل .

وكان (ممدوح) قد وصل إلى (سورية) منذ عدة أيام ،
بحثًا عن الإرهابي التركي (فاخر جونار) ، الذي ارتكب عددًا
من الجرائم الإرهابية في (مصر) ثم تمكن من الهرب . متنكرًا
عبر الحدود ، قبل أن تتمكن الشرطة المصرية من إلقاء القبض
عليه ؛ وعندما وصلت معلومات تشير إلى وجوده في
(سورية) ، صدرت الأوامر إلى (ممدوح) بالسفر إلى دمشق ،
والتعاون مع السلطات السورية ، لإلقاء القبض عليه ..

ووصل البحث والتحري إلى طريق مسدود ، إذ لم يتمكن
(ممدوح) ومعه ضابط البحث الجنائي السوري ، من التوصل
إلى أية معلومات ، تفيد في إلقاء القبض على الإرهابي التركي ،
أو تشير إلى الوكر الذي اختفى فيه .

وانتهت التحريات إلى أن (فاخر جونار) قد غادر الأراضي
السورية ، وأنه ربما لم يدخلها منذ البداية .

ولكن (ممدوح) رفض التسليم بهذه النتيجة ، وقرر أن
يواصل مهمته بصفة غير رسمية ، وقد دلت حاسته السادسة
إلى أن الإرهابي التركي موجود في (سورية) ، وأن عليه أن
يبحث عنه ، ويلقى القبض عليه بنفسه ، مهما كانت
المخاطر ..

وبالفعل ، قادته تحرياته إلى وجود (فاخر جونار) ، في
إحدى المناطق الجبلية السورية ، فسافر إلى هناك ، ونزل بأحد
الفنادق ، ولم يعد متيقناً أمامه سوى أن يعثر على الوكر ، الذي
يختفى فيه ذلك الإرهابي ، بين تلك الجبال المترامية الأطراف ،
التي يطل عليها فندقه ..

وعندما اتصلت به تلك السيدة ، وطلبت مقابلته في الفندق ،
لتدلى إليه ببعض المعلومات ، التي تؤكد له وجود (فاخر
جونار) ، في ذلك الشاليه الخشبي ، المختفي في باطن الجبل ،
ثم اختفت من أمامه فجأة ، وهي تلح عليه ألا يسألها أية أسئلة
أخرى ، أو يحاول التحري عن شخصيتها ..

كان مدركاً أن الأمر لا يخلو من شرك ، أعد له بعناية وحذق ؛
لذا فقد ذهب مبكراً عن الموعد الذي حددته له السيدة ، للقبض
على (جونار) ، وأخذ يراقب الشاليه بحرص وعناية ، حتى
انقضى ذلك الموعد ، دون أن يلمح أية حركة أو أثر لوجود أحد
في الشاليه ؛ فشعر (ممدوح) بالملل يتسرب إلى نفسه ، من
طول المراقبة ، وقرر أن يتسلل إلى الشاليه بحذر ، وقد تأهب
لوجود مفاجآت في انتظاره ، ودار حول الشاليه في خطا حذرة
متلصصة ، ثم اقترب من الباب ليطرقه بضع طرقات قليلة ،
ويده الأخرى مستقرة فوق المسدس ، الذي يختفي في الجراب
الملتف حول إبطه .

ولما لم يتلق أي رد على طرقاته ، قام باستخدام آلة خاصة
معه ، في فتح الباب ، الذي لم يجد أية صعوبة في فتحه ..

ودفع (ممدوح) الباب أمامه ، دون أن يدلف إلى الداخل
مباشرة ، وعيناه تحدقان في الظلام ، الذي يشمل المكان لبرهة
من الوقت ، ثم لم يلبث أن استخدم مصباحه في التسلل إلى
الداخل ، وهو ما يزال محتفظاً بيقظته وتأهبه .

وبعد عدة دورات داخل الشاليه ، تبين له أنه مهجور تماماً ،
ويخلو من ساكنيه ..

كان من الواضح أنه كان مأهولاً بالسكان منذ فترة قصيرة ؛
فقد كانت هناك بقايا لطعام في المطبخ ، كما أن الثلاجة كانت
عامرة بالأكولات ، ولمح (ممدوح) خزانة حديدية داخل

إحدى الغرف ، وقد وضعت بجوار مكتب معدني ، ملاصقة لجدار الغرفة ، فاقترب منها على ضوء مصباحه اليدوي ، وهم يفتحها ، ولكن سرعان ما تراجع عن المحاولة ، إذ أن الخزانة كانت شبه مفتوحة ، وكان بابها موارباً قليلاً ، وكأنها تدعو أي دخيل لفتحها دون عناء ، فأخرج جهازاً إلكترونياً صغيراً من جيبه ، وقام بتمريره على الباب المعدني للخزانة من الخارج ، وهو يرهف السمع ..

وفجأة تعالى أزيز عال ، من الجهاز الإلكتروني ، فقال لنفسه :

- كما توقعت .. إنه شرك خداعي .. بمجرد فتح باب الخزانة ، تنفجر القنبلة المعدة بالداخل ، في وجهي مباشرة ، وتحولني إلى أشلاء متناثرة .

وتأهب (ممدوح) لمغادرة الشاليه ، بعد أن تبين له صدق حدسه ، وأن الأمر لم يكن سوى خدعة ، تهدف إلى القضاء عليه ؛ ولكنه مع ذلك كان مسروراً بهذه النتيجة ، فمحاولة التخلص منه ، على هذا النحو ، تعني أن شكوكه كانت في محلها ، وأن الإرهابي (فاخر جونار) موجود بالفعل ، في هذه المنطقة ، وهو يشعر بخطرته عليه ، وبأنه أصبح يهدده ، مما دعاه إلى تدبير هذا الشرك للتخلص منه ، وهذا يعني أنه قد أصبح قريباً جداً منه ، ولكن عليه منذ الآن أن يكون حذراً متأهباً ، للعديد من المخاطر ، فهو يتعامل مع عدو يعرف

تحركاته جيداً ، دون أن تكون لدى (ممدوح) معرفة كافية بتحركاته .. وخطواته .

وفجأة ، وبينما كان (ممدوح) يتأهب لمغادرة المكان ، سمع هدير باب الشاليه ، مما جعله ينتبه إلى أن شخصاً ما قد فتحه ، وتسلل إلى المكان ..

وعلى الفور أطفأ (ممدوح) مصباحه ، وجثا على ركبتيه كالشهد المتحفظ ، محاولاً الاعتماد على بصره الحاد ، في استكشاف خيال ذلك المتسلل ، وحبس (ممدوح) أنفاسه ، وهو يرهف السمع ، وقد استجمع كل حواسه ، لتتحصر في سمعه وبصره .

وفي اللحظة المناسبة دفع مرفقه بقوة ، في صدر الشبح الواقف خلفه تماماً ، وأضاء نور الحجرة فجأة ، ليتبين له أنه يواجه غريمين بدلاً من واحد ، وبينما كان أحدهما يضع يديه على صدره متألماً ، من قوة الضربة التي وجهها إليه بمرفقه ، كان الآخر يتأهب لإطلاق رصاص مسدسه نحوه ، فوجده (ممدوح) أجدر بالمواجهة السريعة ..

وبسرعة تناول أحد المقاعد ، ليقتذفه في اتجاه الرجل المسلح ، واصطدم المقعد بوجه وذراع الرجل ، وطاشت رصاصته ، مما أتاح الفرصة لـ (ممدوح) لكي يخرج مسدسه ، ليطلق منه رصاصة أطاحت بمسدس غريمه ، ولكن الرجل الآخر ، الذي تلقى ضربة (ممدوح) في صدره ، كان قد تغلب

على شعوره بالألم ، فهاجمه من الخلف ، ليلف ساعده حول عنقه ، وهو يقبض على رسغ (ممدوح) ، رافعا يده القابضة على المسدس إلى أعلى ، فاندفع زميله نحو (ممدوح) ، وملامح وجهه تنطق بالقسوة والغضب ، ليسدد له لكمة قوية في أمعائه ، أتبعها بأخرى أشد قوة ، ثم عاجله بلكمة ثالثة في فكه ، جعلت الدماء تسيل من فمه ..

وترئع (ممدوح) من شدة اللكمات التي تلقاها ، مما أتاح لغريمه أن يستخلص المسدس من يده ، ليدفع فوهته لتلتصق بعنق (ممدوح) ، قائلا :

- سأجعلك تندم على اللحظة ، التي قادتك فيها قدماك إلى هنا .

- ولكن صوتا آخر جعله يتوقف عن إطلاق الرصاص ، وهو يقول :

- انتظريا (رعول) .

وتقدم صاحب الصوت بخطوات متتدة ، من الباب الخلفي للحجرة ، لينبئ من (ممدوح) ، الذي عرف فيه (فاخر جونار) ، الإرهابى التركى ..

كان الرجل متوسط القامة ، عريض المنكبين ، كث الشارب ، تبدو على وجهه ملامح لقاتل محترف ، فسمات القسوة كانت واضحة في ملامحه ، مختلطة بشيء من البرود ، لرجل يعرف كيف يقتل الآخرين ، دون أن ينتابه أدنى شعور بالشفقة ، أو عذاب الضمير ..

ووقف الرجل قبالة (ممدوح) ، قائلا بصوت لا يقل برودة عن ملامح وجهه :

- والآن هانتذا تقف وجهها لوجه أمام (فاخر جونار) ..
أعتقد أنك تستحق أن تحظى بهذا اللقاء ، وإن كان اللقاء الأخير بيننا ، إذ إنه لا مناص من القضاء عليك ، على الرغم من أنني لأخفى إعجابى بك ، فأنت تبدو أكثر ذكاء وإصرارا من الآخرين .

لقد عجز الكثيرون عن الوصول إلى ، وينس الكثيرون أيضا من قدرتهم على القبض على ..

لأبد أنك تعرف أن (فاخر جونار) حير العديد من أجهزة الأمن والمخابرات ، فى معظم دول العالم ، وأعجزهم عن القبض عليه ، وهذا هو شأن المكتب (١٩) أيضا ، إلا أن ما أدهشنى هو إصرارك على مواصلة مهمتك ، على الرغم من انتهائها بصفة رسمية .

قال (ممدوح) فى صلابة :

- لقد أزهقت الكثير من الأرواح ، وقتلت العديد من الأبرياء فى بلادى ، وفى بلدان أخرى ، وأنا أعتبر أن كل هؤلاء قد كلفونى مسئولية الانتقام لهم منك ، ووضع نهاية رادعة لشرورك وأثامك ، ولكل ما ارتكبته من جرائم دامية ، دفع ثمنها المنات من الضحايا ، ولن تنتهى مهمتى إلا بوضع هذه النهاية .. نهايتك حيا أو ميتا .

أطلق (جونار) ضحكة مجلجلة .. ثم صفق قائلًا بابتسامة ساخرة :

- لا أدري إذا ما كنت تستحق الإعجاب أم السخرية ، فأنت تتمسك بدور البطل ، حتى في تلك اللحظات الحرجة ، التي تجد نفسك فيها محاطًا بثلاثة من الخصوم ، ومسدس مصوب إلى وجهك ، لكن من العجيب أن تتحدث عن نهايتي ، التي تقول إنها ستكون على يدك ، في حين تقترب من أجلك المحتوم . على كل ، إذا كنت تبغى الحصول على بعض التصفيق ، فهأنذا قد حصلت عليه .. والآن يتعين عليك أن تستعد للخاتمة .. لقد دفعتنى لتغيير النهاية ، فقد وضعتها على أساس أن تفتح تلك الخزانة فتنفجر القنبلة المعدة إليكترونيًا ، وينتهي الأمر إلى أجزاء متناثرة منك ، يصعب جمعها ، ولكنك كنت ذكيًا ، بحيث لم تنخدع بالشرك الذي أعدته لك ؛ لذا فليس أمامي سوى العودة إلى النهاية التقليدية .. رصاصة في الرأس ، وينتهي الأمر .

والتفت إلى الرجل المسلح ، قائلًا :

- حسنًا يا (رءول) .. إنه لك الآن ، ويمكنك أن تقضى عليه .

وانفجرت أسارير الرجل لأول مرة ، منذ حديث (جونار) مع (ممدوح) ، فقد ظل متجهماً طوال الحديث ، بعد أن حال (جونار) بينه وبين قتل (ممدوح) ، وكان يرى فيه مضیعة

للوقت لاجدوى منها ؛ لذا فما أن سمح له رئيسه بإطلاق الرصاص على (ممدوح) ، حتى تقدّم منه متحمسًا ، وهو يصوب مسدسه نحو رأسه ، من مسافة قريبة ، محتفظًا بتلك الابتسامة المتشفية على شفتيه .

ولكن (ممدوح) لم يكن بالشخص الذي يستسلم لنهاية كهذه ، بمثل هذه السهولة ، إذ سرعان ما استجمع قوته وحواسه ، ليسدد ركلة قوية إلى ذراع غريمه ، أطاحت بالمسدس من يده ، ثم قبض بيده اليسرى كالطوق الحديدي على ذراع الرجل الآخر ، الذي يقف خلفه ، ويشل حركته ليجذبه بقوة في مواجهته ، مسدّذاً له لكمة قوية في فكه ، جعلته يرتج قليلًا ، ولكنه لم يتخل عن ذراع (ممدوح) ، فقد ظل متشبثًا بها ، وقد زاد من ضغطه عليها ، وهو يلويها بقوة ، ليحول بينه وبين تكرار محاولة التخلص منه ..

وأحس (ممدوح) بألم شديد ، وقد ازداد الضغط على ذراعه ، ولكنه استنفر عزمته ، وتشبّث بالمقاومة ، خاصة وهو يعلم أن الاستسلام يعني نهايته المحتومة ، فقاوم ضغط الرجل على ذراعه ، وحول يده اليسرى إلى أعلى خلف ظهره ، ليطبق بها على عنق خصمه من الخلف ، وازداد الصراع والمقاومة بين الرجلين ، حتى نجح (ممدوح) في النهاية في الانحناء إلى أسفل ، ويده على عنق خصمه ، ليلقي به من فوق كتفه على الأرض ، متخلصًا منه .

وفى هذه اللحظة ، فوجى (ممدوح) بالرجل الآخر يقفز فى الهواء ، مسددا له ركلة قوية بطريقة فنية ، من تلك التى يجيدها لاعبو (الكاراتيه) و (الكونغ فو) ، وتصدى (ممدوح) ، الذى كان بدوره خبيراً بذلك النوع من أنواع القتال ، للركلة الموجهة إلى وجهه بساعده ، فقلل من قوتها . ولم يكد الرجل يهبط على الأرض مرتكزا بإحدى قدميه وساقه الأخرى معلقة فى الهواء ، حتى فوجى بركلة أشد قوة من قدم (ممدوح) ، استقبله بها فى وجهه ، فترئج على أثرها إلى الوراء ، وقبل أن يسترد توازنه ، كان (ممدوح) قد فاجأه بلكمة كالمطرقة ، صوبها إلى فكه ، فاختل توازنه تماما ، وكاد يهوى على الأرض فاقتدا الرشد ، ولكن (ممدوح) سارع بالإمساك به من ياقة سترته ونراعه ، قبل أن يسقط فى غيبوبة ، ليدفع به فى قوة نحو الرجل الآخر ، الذى كان قد نهض من سقطته ، وتأهب لطعن (ممدوح) بخنجر ، أخرجه من رباط ملتف حول ساقه ، وجاءت الدفعة من القوة ، بحيث أطاحت بالرجلين ، ليرصطما بالخزانة الحديدية ، بالقرب من الجدار ، فارتطمت رأس أحدهما بالخزانة الحديدية ، فهوى على الأرض غائبا عن الوعى ، فى حين تعثر الآخر فى الرجل الذى سقط فوقه ، فتعلق بمقبض الباب ، الذى يفتح الخزانة الحديدية ، محاولاً مساعدة نفسه على النهوض .

ونظر (ممدوح) إلى الرجل فى فزع ، وقد أدرك ماسوف يترتب على تعلق الرجل بمقبض الباب على هذا النحو ، إذ

لابد أن باب الخزانة سينفتح ، وفى هذه الحالة ستنفجر القنبلة ، لتدمر الغرفة تماما ، ولم يكن هناك وقت للتحذير ، إذ أن الرجل بدا مترنحا ، وهو شبه غائب عن الوعى ، فى أثناء محاولته النهوض متعلقا بمقبض الباب ، فى حين كان (جونار) ، الذى استشاط غضبا لما رآه من مقاومة (ممدوح) قد أخرج مسدسه ، واستعد لتنفيذ حكم الإعدام ، الذى أصدره بنفسه ..

وأصبح الخطر محيقا بـ (ممدوح) من الجهتين ؛ لذا فلم يتردد (ممدوح) ثانية واحدة فى معالجة الموقف بطريقة انتحارية ، إذ وثب نحو (جونار) ، فى اللحظة التى كان يصوب فيها مسدسه فى اتجاهه ، ليحتضنه مرتطما به فى زجاج النافذة الخلفية ، التى كان يقف أمامها مباشرة ، ليقفز به فوق الأرض الفضاء المحيطة بالشاليه ؛ محطما زجاج النافذة ، الذى تحول إلى شظايا صغيرة ، تناثر بعضها حولهما .

وفى اللحظة التى استقرا فيها على الأرض ، نوى فى المكان صوت انفجار قوى ، صادر من الشاليه ، الذى تطايرت بعض أجزاله فى الهواء ، وبالتحديد من الغرفة التى قفز منها (ممدوح) و (جونار) .

وقبل أن يفيق (جونار) من ذهوله ، كان (ممدوح) قد انتزع من يده المسدس ، واضفا القيد الحديدى حول راسه

غريمه ، ثم ساعده على النهوض ، وهو يضع الحلقة المعدنية
الأخرى من القيد حول راسه أيضا ، محتفظا بالمسدس في اليد
الأخرى .

ونظر إلى (جونار) قائلا :

- والآن مارأيك في هذه النهاية السعيدة ؟

ابتسم (جونار) في مرارة ، قائلا وهو يرمق (ممدوح) :
- أعترف أنها خالفت كل توقعاتي .

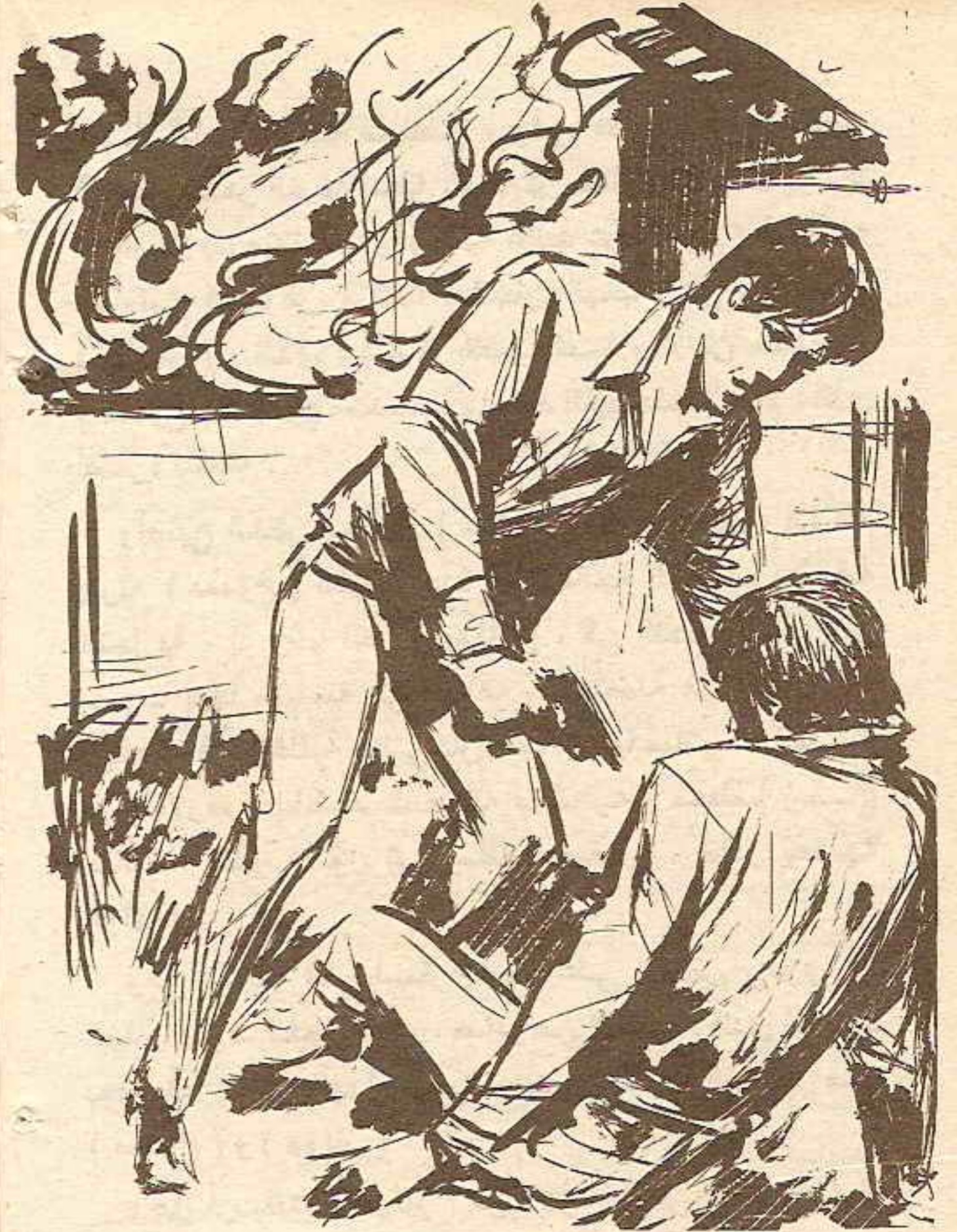
ممدوح :

- حسنا .. احتفظ ببقية اعترافاتك لأجهزة التحقيق ، فأنا
أعتقد أنها متلفة للسمع منك ، وبعدها ستقدم للمحاكمة ، لكي
تنال القصاص العادل .

واصطحب (ممدوح) (جونار) معه ، مبتعدا عن
الشاليه ، الذي ظلت السنة اللهب تتصاعد منه إثر الانفجار ،
معلنا بذلك انتهاء مهمة أخرى ، من المهام المستحيلة ، التي
تنفذها إدارة العمليات الخاصة ..

والمكتب رقم (١٩) .

★ ★ ★



وقبل أن يفيق (جونار) من ذهوله ، كان (ممدوح) قد انتزع
من يده المسدس ..

٢- شبكة التجسس ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) بحجرتة ، بالدور الرابع من مبنى إدارة العمايات الخاصة ، وقد اصطنع على وجهه ملامح التجهم ، ولم يدع (ممدوح) إلى الجلوس كعادته ، بل نظر إليه في صرامة ، قائلاً :

- لا أدري هل أعنفك أم أهنئك ، فقد خالفت الأوامر الصادرة إليك ، ووضعتني في موقف حرج ، إذ كان يتعين عليك أن تعود فوزاً من (دمشق) ، بمجرد صدور الأمر إليك بالعودة ، وإنهاء المهمة ، ومع ذلك فقد أحرزت نصراً حقيقياً ، نتيجة هذه المخالفة ، وتمكنت من إلقاء القبض على الإرهابي الخطير (فاخر جونار) ..

إن مخالفة الأوامر ، أيًا كانت ، بالنسبة لمن يعملون في مهنتنا ، أمر يستحق الجزاء ، بل والجزاء الرادع .. ثم صمت برهة ، وهو يضع أصابعه تحت ذقنه ، كما لو كان يفكر قائلاً :

- ولكن النجاح الذي حققته أيضاً أمر غير عادي ، ويستحق الإشادة .

وعاد للنظر إليه قائلاً :

- قل لي .. كيف أحل هذه المشكلة ؟ .. لو أعلنت صفحي عن

مخالفتك للأوامر ، فقد يشجع هذا عدداً من الضباط الآخرين ، الذين يعملون في الإدارة ، على مخالفة الأوامر في المستقبل ، ولو وقعت عليك جزاء فإنني بهذا أكون قد قابلت بطولتك ونجاحك ، في إلقاء القبض على هذا الإرهابي الخطير ، الذي عجزت عشرات من أجهزة الأمن الدولية عن القبض عليه ، بالإساءة وعدم التقدير .

قال (ممدوح) :

- أنا تحت أمرك يا أفندم ، وسأقبل أي قرار تصدره بصدر رحب .

قال اللواء (مراد) بضيق :

- إنني لأحدثك الآن بشأن الأوامر ، إنني أدعوك للتفكير معي .

هز (ممدوح) كتفيه ، قائلاً :

- يمكنك أن تقول إنني كنت في إجازة ، وفي أثناء إجازتي قمت بهذه المغامرة ، بصورة غير رسمية ، وبصفة شخصية ، فهل يجازي المواطن العادي ، لو أنه تطوع لخدمة السلطات ، وألقى القبض على مجرم هارب من العدالة ؟ .. أعتقد أنه يكافأ في هذه الحالة .. أليس كذلك ؟

ولأول مرة ، تخلى اللواء (مراد) عن تجهمه المصطنع ، ورسم ابتسامة على وجهه قائلاً :

- أعتقد أنه مبرر مقبول ، ولو أنه غير كاف ، ففي الواقع

ليس هناك فارق كبير بين حياة رجل الأمن المحترف ، الرسمية والشخصية ، كما اعتقد أنه لا مناص من تهنئك على ما حققته من نتائج ، في هذه المغامرة .

ثم أشار إليه بالجلوس مستطرذا :

- خاصة وأن أمامي عملية جديدة بحاجة إلى جهودك .

ممدوح :

- تحت أمرك يا أفندم .

اللواء (مراد) :

- لقد سافرت إلى (أسترتان) من قبل .. أليس كذلك ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

- في الواقع لقد اختطفتم إلى (أسترتان) ، لو شئنا دقة التعبير (*) .

اللواء (مراد) :

- هذه المرة ستعود إليها طواعية .

ممدوح :

- هل سأذهب إلى (أسترتان) ؟

اللواء (مراد) :

(*) ملحوظة : اقرأ العدد (٢١) ، من سلسلة المكتب رقم (١٩) .

(العملية الكبرى) ، وهي إحدى المغامرات ، التي قلم بها (ممدوح) في (أسترتان) .

- نعم ، فقد كنت في اجتماع أمس مع مدير المخابرات العامة المصرية ، واتفقنا على ضرورة وجودك هناك ، في مهمة سرية ودقيقة .

ممدوح :

- ولكنني معروف جيداً ، في أروقة المخابرات

الأسترتانية ، وأحظى بشهرة لا بأس بها ، بين العاملين في هذا

الجهاز ، من أصغر رتبة إلى مدير المخابرات الأسترتانية

نفسه .

اللواء (مراد) :

- لذا فستذهب متكرراً ، للقيام بمهمتك ، وسنسلمك إلى

إخصائي في هذا الشأن ، قبل سفرك إلى هناك .

ممدوح :

- وما المهمة التي سأكلف إياها ؟

اللواء (مراد) :

- خلال الفترة الأخيرة ، تم تجنيد عدد من العملاء الأجانب

والمصريين في الخارج للقيام ببعض أعمال التجسس ضد

(مصر) ، ولصالح (أسترتان) ، كما تم اختراق بعض

أنشطتنا السرية في (أوربا) لحساب المخابرات الأسترتانية

أيضاً ، مما يعني تفوقاً ساحقاً للمخابرات الأسترتانية ، على

نحو أصبح يهدد أمننا القومي ، ويعرض المصالح العليا للدولة

للخطر ، وقد أنت التحريات التي أجرتها المخابرات المصرية

في هذا الشأن ، إلى وجود شبكة تجسس ، على مستوى عال من التنظيم والدقة ، تعمل بصورة سرية لصالح (أسترتان) ، وأثبتت التحريات أن هذه الشبكة المنظمة ، التي تدار بوساطة مسئول على مستوى كبير ، في المخابرات الأسترثانية ، والتي تضم عشرات من العملاء السريين ، هي التي تقوم بكل النشاط الرئيسي ، الموجه ضد الأمن القومي المصري ، وتقف وراء كل عمليات التجسس ، التي كُشف بعضها ، والذي مازال البعض منها مجهولا .

وقد قامت المخابرات المصرية بإيفاد أحد عملائها إلى (أوربا) منذ عشرة أيام ، للتحري حول نشاط هذه الشبكة ، ومحاولة كشف بعض أسماء عملائها ، ولكنه وجد مقتولا في شقته ، بعد أربعة أيام فقط من وصوله إلى (روما) .

وكنوع من التحدى السافر ، وجدنا بطاقة تغزية في الصندوق الذي نقل جثته إلى (القاهرة) ، باسم (أرييل شون) ، نائب مدير المخابرات الأسترثانية ، لكن مهمة العميل المصري لم تذهب هباء على كل حال ، فقبل موته قام بالاتصال بالمخابرات المصرية بوسيلة سرية ، وأخبرهم بأن أسماء جميع العملاء التابعين لشبكة التجسس الأسترثانية ، ومواقع عملهم في (أوربا) و (مصر) ، يحويها ملف سرى من نسختين ، الأولى في إدارة المخابرات الأسترثانية ، والثانية في مكان مجهول لانعرفه ، داخل (أسترتان) ، وتابع أيضا

لجهاز مخابراتهم ، ولا توجد نسخة ثالثة لهذا الملف ، سواء في (أوربا) أو (أسترتان) ، ولا حتى لدى رئيس الشبكة نفسه ، والذي يتلقى أوامره مباشرة من (أسترتان) . ولقد انقسمت الآراء ، داخل المخابرات المصرية ، إلى اتجاهين :

الأول : يدعو إلى ضرورة السعى وراء رئيس شبكة التجسس في (أوربا) ، ثم اختطافه وإجباره على الاعتراف باسم أعضاء هذه الشبكة ، للقضاء على نشاطها .

والثاني : يرى ضرورة الحصول على هذا الملف السرى ، الموجود في (أسترتان) ، لأنه بالحصول عليه يمكن ضرب نشاط هذه الشبكة ، وكل أعضائها في الصميم ..

وقد تغلب الاتجاه الأول في البداية ، نظرا لصعوبة الحصول على هذا الملف ، من داخل جهاز المخابرات الأسترثانية ، ولعدم إضاعة الوقت في البحث عن ذلك المكان المجهول ، الذي تحتفظ فيه المخابرات الأسترثانية بالنسخة الثانية ، وتم تكليف عميل المخابرات المصرية في (روما) بالسعى وراء الكشف عن رئيس الشبكة في (أوربا) ، ولكنهم لم يمهلوه ، إذ سرعان ما انكشفت مهمته ، وتم التخلص منه ، بوساطة العملاء الأسترثانيين ، وفشلت المهمة ، وعثما ناقشني مدير المخابرات المصرية في الأمر ، أخبرته أنني أحبذ الاتجاه الثاني ، وهو الحصول على الملف السرى ، أو على الأقل

تصويره ، لأن القبض على رئيس الشبكة أو اختطافه ، لابد أنه سينبه الآخرين ، ويجعلهم يتخذون احتياطاتهم سريفاً ، فضلاً عن أنه ما دامت الأوامر تصدر رأساً من (أسترتان) إلى أعضاء شبكة التجسس ، فهناك احتمال لأن يكون هناك أكثر من مسئول عن نشاط شبكة التجسس هذه ، ولكل مسئول قطاع يختص به ، وعدد من العملاء التابعين له في الخارج ، دون أن تخضع الشبكة كلها لرئيس واحد ، ودون أن يعلم كل مسئول عن نشاط زميله ، ويجهل أسماء العملاء التابعين له ، وهذا هو الاحتمال المرجح ، بدليل أن أسماء عملاء الشبكة لا يتضمنهم سوى نسختين من ملف واحد فقط ، حسب المعلومات الواردة ، وهذا يعني أن المخابرات الأسترطانية حريصة على ألا يوجد من يعرف أسماء هؤلاء العملاء ، وطبيعة نشاط كل منهم ، سوى أعضاء محدودين فقط داخل المخابرات الأسترطانية ، وأن تصدر الأوامر الخاصة بعمل كل مسئول داخل هذه الشبكة ، عن طريق رئيس المخابرات الأسترطانية فقط ، وربما اثنين أو ثلاثة من نائبيه ، مثل (أرييل شون) ، أي أن دور المخابرات الأسترطانية هنا هو القيام بعملية التنسيق بين الأعضاء المسؤولين عن نشاط شبكة التجسس الأسترطانية في (أوروبا) ، وبالتالي فالقبض على مسئول أو أكثر ممن يتولون القيادة في هذه الشبكة لن يفيد ، لأن كلا منهم يجهل حقيقة دور الآخر ونشاط عملاته أما الملف السري ، فإنه سيضمن كشف أمرهم كلهم مرة واحدة ، وتوجيه ضربة واحدة أيضاً إلى نشاط هذه الشبكة .

ولقد اقتنع مدير المخابرات المصرية بالرأى ، الذي انتهت إليه ، ولكنه أخبرنى فى ذات الوقت بصعوبة الوصول إلى هذا الملف السرى ، داخل (أسترتان) ، وأنه ليس لديه فى الوقت الحاضر العميل المؤهل للقيام بمهمة كهذه ، فأخبرته بأن لدى من يصلح للقيام بهذه المهمة ، واتفقنا على أن نسند لها إليك .. فما رأيك ؟

ممدوح :

- إننى جاهز لأداء الواجب دائماً .

اللواء (مراد) :

- يجب أن تعرف أن الأمر يبدو مستحيلاً بالفعل ، وأنت ستقوم بمهمة تحتاج إلى أعصاب حديدية ، وجهد غير عادى ، فأنت ذاهب إلى (أسترتان) ، حيث تضع نفسك فى قم الأسد ، ولهم تجاربهم السابقة معك ، بما يكفى لكى يضعوك على رأس قائمة الأعداد المطلوبين أحياء أو أمواتاً ، ولوتنبه أحدهم لوجودك هناك ، فلن يتردد فى أن ينسفك نسفاً ، فضلاً عن صعوبة المهمة ذاتها .. إن محاولة الحصول على هذا الدلف ، من داخل خزانة المخابرات الأسترطانية ، هو المستحيل بعينه ، فبجانب الحراسة الحديدية المفروضة أصلاً على مبنى المخابرات ، فلا بد أنه محاط بوسائل حراسة غير عادية ؛ لذا فسوف نستبعد محاولة الحصول على الملف من داخل الجهاز ، ويتبقى أمامنا البحث عن تلك المكان المجهول ، الذى تم إيداع

النسخة الثانية من الملف السرى فيه ، وهذا أيضا أمر بالغ الصعوبة . إذ يتعين عليك تحديد هذا المكان أولا ، ثم التفكير فى وسيلة تنفذ بها إليه ، للحصول على صورة من الملف ، ولا بد أن هذا المكان أيضا محاط بحراسة غير عادية ، ولكن لا بد لك فى النهاية من اختراق هذا المكان ، وتصوير الملف السرى ، وأنا أفضل تصوير الملف ، بدلا من سرقة ، لأننى أرجو ألا يتنبه أحدهم بقدر ما تستطيع إلى حوصلنا على أسماء العملاء السريين ، الذين تضمهم شبكة التجسس ، حتى نستطيع مفاجأتهم بضربة سريعة حاسمة ، نقضى بها على نشاط هذه الشبكة تماما ، ولكن إذا لم تكن الظروف أمامك متاحة ، بما يكفى لتصوير الملف ، فلا بأس من الاستيلاء عليه ، فهذا على الأقل سيجعلهم يوقفون نشاطهم ، ويسرعون بحل تنظيمات الشبكة .

وفى كل الأحوال إذا شعرت بأنك معرض للخطر ، وأنهم فى طريقهم لكشف أمرك ، فلا تتردد فى التوقف عن متابعة تنفيذ مهمتك ، والعودة إلى (القاهرة) بأية وسيلة ، وهذه أوامر لا تحتمل المناقشة ، ولن أقبل عدم الالتزام بها ، بأى حال من الأحوال هذه المرة ، فأنا غير مستعد لاستقبال جثتك داخل صندوق ، ومعها برقية عزاء أخرى من المخابرات الأسترلانية ، فالقضاء عليك فى حد ذاته سيكون نقطة تفوق ونجاح أخرى ، تضاف إلى رصيد المخابرات الأسترلانية فى معركتهم معنا .

ابتسم (ممدوح) قائلا :

- اطمئن يا أفندم إننى لأحب السفر فى صناديق مغلقة .

ولكن اللواء (مراد) قال بجدية :

- مهمتك غير سهلة على الإطلاق ، ولكن إذا نجحت فيها ستكون قد قدمت خدمة كبيرة للوطن ، وكشفت النقاب عن أكبر شبكة تجسس دولية ، يستخدمها الأعداء للإضرار بـ (مصر) وأمنها القومى .

قال (ممدوح) بنفس الجدية هذه المرة :

- وهذا ما يجعلنى متحمسا لتنفيذها ، فلا يمكن أن أتوانى عن التصدى لخطر يهدد بلادى .

اللواء (مراد) :

- ستسافر إلى (قبرص) أولا ، وهناك ستجد من يزودك بجواز سفر مزور باسم (جليوس) ، حيث ستنتحل شخصية بحار يونانى ، وستكون صورتك مطابقة للتكر الذى سيجرى لك ، وبعد قضاء عدة أيام فى (قبرص) ، ستسافر من هناك إلى (استرلتان) ، منتحلا شخصيتك الجديدة لتنفيذ مهمتك ، وإذا احتجت لشيء ، أو تعرضت لخطر ، يمكنك التردد على أحد المطاعم التى يمتلكها شخص يونانى ، فى شارع (اليسكاريه) ، ويدعى (خاريس) .. هذا الرجل يعمل لحسابنا ، وسوف يقدم لك الخدمة المطلوبة هو وزوجته ، وكلمة السر المتعارف عليها هى « الحوت الأزرق » .. هذا

الرجل يستطيع أيضا أن يدبر لك مسألة العودة ، إذا ما نجحت في أداء مهمتك ، ولكنه سينكر معرفته تماما بك ، إذا ما أحس بأنه سيتعرض لأي خطر .

ممدوح :

- هذا مفهوم بالطبع .

اللواء (مراد) :

- والآن يمكنك أن تستعد للسفر في رعاية الله ، لتبدأ مهمتك ، وتسعى للحصول على الملف .. الملف السري .

★ ★ ★



٣- القلعة الحصينة ..

وصل (ممدوح) إلى مطار (نيقوسيا) العاصمة القبرصية ، حيث نزل بأحد الفنادق لمدة يومين ، وخلال هذين اليومين بدأت إجراءات إعداده للسفر إلى (أستران) ، حيث استقبله خبير في وسائل التتكر أوفدته إدارة العمليات الخاصة إلى (نيقوسيا) ، وقام بتغيير هينة (ممدوح) ، على نحو مخالف تماما لصورته الأصلية ، والحق يقال إنه كان بارعا في هذا الشأن .

ثم التقى بالعمل القبرصي ، الذي يعمل لحساب المخابرات العامة المصرية ، والذي زوده أيضا بجواز سفر زائف باسم (جلسيوس) ، وأصبح (ممدوح) بحارا يونانيا من العاملين على سفن الشحن التجارية ، ومؤهلا للقيام بمهمته ..

وفي اليوم الثالث لوصوله إلى (قبرص) ، استقل الطائرة المتجهة إلى (أستران) ، ولديه هدف واحد ومحدد ، وهو الحصول على الأسماء التي يحويها الملف السري بأي ثمن .. واستطاع (ممدوح) أن يجتاز دائرة الجوازات دون أدنى مشاكل ، ودون إثارة الريبة في شخصه ، فقد بدا كل شيء معدا باتقان ، حتى أن ضابط الجوازات الأستراني لم يمعن النظر فيه طويلا ، وأنهى إجراءات دخوله إلى (أستران) في دقائق

معدودة ، ولم يكد (ممدوح) يستقر فى فندقه بالعاصمة
الأسترانية ، حتى سارع بمغادرته إلى شارع (اليسكارين) ،
حيث توجه إلى مطعم (خارديس) ، طبقاً لتعليمات اللواء
(مراد) ، وأدهشه أن المطعم كان كبيراً وفخماً للغاية ، ويحتل
ناصيتين من أحد الشوارع الهامة فى العاصمة ، كما أن زبائنه
كانوا من ذلك النوع رفيع المستوى ، ومن ذوى الشخصيات
الهامة .

واستقبل (المتروودتيل) (ممدوح) بشيء من التعالى ،
قائلاً :

- عفوا ياسيدى .. هل حجزت مائدة قبل حضورك ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو ينقل بصره فى أرجاء المطعم
الأنيق :

- فى الواقع كلا .. ولكن ..

قاطعه (المتروودتيل) سريفاً ، قائلاً :

- آسف ياسيدى .. الزبائن لدينا هنا يحجزون موائدهم
مقدماً .

قال (ممدوح) :

- إننى لم أت لتناول الطعام ، ولكن لمقابلة صاحب المطعم
مسيو (خارديس) .

تأمله الرجل قليلاً بشيء من الفضول ، قبل أن يشير إلى أحد
العاملين فى المطعم ، قائلاً :

- اصحب السيد إلى غرفة مسيو (خارديس) .

سار (ممدوح) وراء الرجل ، الذى اجتاز به قاعة المطعم ،
ثم دلفا من خلال أحد الأبواب إلى ردهة طويلة ممتدة ، حتى
وصلا إلى حجرة مغلقة فى نهايتها ، واستوقفه الرجل قائلاً :

- لحظة واحدة ، حتى أعطى مسيو (خارديس) خبراً
بحضورك .

هز (ممدوح) رأسه مبتسماً ، فقد بدا له الأمر وكأنه
سيلتقى بشخصية سياسية هامة ، وليس بصاحب مطعم ، على
الرغم من فخامته .

وبعد قليل فتح الباب ، حيث طلب منه العامل الدخول .

دخل (ممدوح) إلى الحجرة ، ليجد رجلاً بديناً مكتئباً ، له
شارب ضخمة ، يجلس وراء مكتب بيضاوى كبير ، وفى يده
سيجار يدخن منه بشراهة ، وألقى الرجل نظرة متمعنة على
(ممدوح) دون أن ينهض لمصافحته ، وقال :

- هل من خدمة أقدمها لك ؟

تلقت (ممدوح) فى أرجاء الغرفة حوله ، حتى يتأكد من
خلوها من أى شخص آخر ، ثم اقترب من مكتب الرجل مرئداً
كلمة السر المتعارف عليها :

- جنتك بشأن « الحوت الأزرق » .

تبذلت ملامح الرجل ، فنهض من فوره لمصافحة (ممدوح)
بكل ترحاب قائلاً :

- أهلاً .. أهلاً .. تفضل .

ودعاه إلى الجلوس ، ثم ضغط على زر أمام مكتبه ، حيث
دخل إليه أحد الأشخاص ، فبادره قائلاً :

- لاتدع أحدا يدخل الآن ، فأنا مشغول بأمر هام .

أحنى الرجل رأسه قائلاً :

- أمرك ياسيدى .

ولكى يزداد الرجل تأكيداً من عدم دخول أحد إلى غرفته ،
أثناء اجتماعه مع (ممدوح) ، نهض بعد انصراف سكرتيره ؛
ليحكم إغلاق الغرفة ، وعاد يجلس أمام (ممدوح) ، وعلى
وجهه ابتسامة كبيرة ، هامساً :

- لقد أخبروني بأمر حضورك إلى (أسترتان) ، ولكن لم
أتصور أنك ستأتى سريفاً على هذا النحو .

ممدوح :

- لقد اقتضت الظروف ذلك .

واتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

- على كل (خارديس) في خدمتك .. هل صادفتك أية
مشاكل فى أثناء دخولك المطار ؟

قال (ممدوح) ، وهو يعود ليدقق النظر فى أرجاء الغرفة ،
بشئ من القلق :

- كلا .. أنت واثق ، أن هذه الغرفة مؤمنة تماماً ؟

ضحك الرجل ضحكة قصيرة ، قائلاً :



تلقت (ممدوح) فى أرجاء الغرفة حوله ، حتى يتأكد من خلوها
من أى شخص آخر ..

- هل تقصد وجود أجهزة تصنت أو ماشابه ؟ .. اطمئن إننى هنا موضع ثقة تامة ، بالنسبة للمسئولين ، ولدى العديد من الصداقات مع بعضهم ، كما أننى أتولى تقديم بعض الخدمات أيضا مما يجعلنى بعيدا عن الشبهات .
ممدوح :

- هل لديك أية معلومات ، بشأن أحد المواقع السرية ، أو ذات طابع خاص ، تابعة للمخابرات الأسترطانية ؟ .. أعنى أن تكون تابعة للمخابرات الأسترطانية ، ولكنها تبدو منفصلة عنها ، أو تدار بطريقة توحي بأهميتها ؟

قال (خارديس) ، وقد بدا عليه الاهتمام :

- إننى أفهم ماتعنى .. لقد تلقيت تعليمات بهذا الشأن منذ شهرين تقريبا ، عن طريق المخابرات المصرية .. هناك عدة أماكن من ذلك النوع ، الذى تتحدث عنها ، ولكن أكثرها جذبا للاهتمام فى رأى ، ذلك المبنى الذى يقع فى منطقة نانية ، بالبلدة المجاورة للعاصمة ..

لقد كان ذلك المبنى فيما مضى قصرا قديما مهجورا ، يمتلكه أحد الأشخاص ، الذين هاجروا من (أسترطان) منذ فترة طويلة ، ترذدت حوله القصص والروايات ، باعتباره مكانا مخيفا ، تسكنه الأرواح والأشباح ، حتى أن البعض كان يخاف المرور فى المنطقة المجاورة .. وفجأة دبت الحياة فى هذا القصر من جديد ، وأعيد طلاؤه ، وتجهيزه بأحدث الوسائل

والمعدات ، ثم أحيط بحراسة مسلحة وقوية للغاية ، وغذا مزوذا بأكثر الأساليب التكنولوجية ، لمنع أى شخص من الاقتراب منه ، وهكذا تحول القصر المهجور إلى قلعة حصينة ، وبدلا من أن تسكنه الأرواح والأشباح ، أصبح يسكنه عدد من ضباط المخابرات الأسترطانية ، المشهود لهم بالكفاءة والخبرة ، وقد علمت بذلك ، لأننى ربما أكون الشخص الوحيد الذى يُسمح له ، ولعدد محدود من العاملين لدى ، بعبور بوابته الرئيسية .

ممدوح :

- وكيف يسمحون لك بذلك ؟

أجابه (خارديس) قائلا :

- لقد كلفنى أحد المسئولين بإدارة المخابرات ، بتوريد كميات من الأطعمة الجاهزة إلى هذا القصر يوميا ، نظرا لثقتهم البالغة بشخصى ، وإن كانوا لا يسمحون لى ، كما قلت لك من قبل أن أتعدى المنطقة الفاصلة بين البوابة الرئيسية للمبنى وأسواره الداخلية على الرغم من هذه الثقة ، ومن الواضح من كمية الأطعمة المطلوبة ، أنها لحوالى مائة وخمسين شخصا تقريبا ، بما فيهم جنود الحراسة المحيطين بالقصر .

لقد تمكنت فى إحدى المرات ، التى أشرفت فيها على نقل الأطعمة بنفسى ، من التسلل عبر أحد الأسوار ، حيث لمحت

مجموعة من الأشخاص ، يتدربون تدريباً شاقاً ، على فنون الدفاع عن النفس ، وبعض التدريبات القتالية الأخرى .

ممدوح :

- ربما تكون المخابرات الأسترطانية قد اتخذت من هذا القصر مركزاً لتدريب عملائها ، كما يحدث في جميع دول العالم .

خارديس :

- إننى بحكم علاقتى ببعض المسئولين فى إدارات المخابرات ، أعرف أن مركز التدريب الخاص بعملائهم ، فى مبنى خاص ملحق بالإدارة ذاتها ، وهو مكان لا يقل سرية وإعداداً عن القصر ، الذى حدثتك عنه .

ولكن ما أثار اهتمامى حقاً هو أن هؤلاء الأشخاص ، الذين رأيتهم يتدربون فى إحدى ساحات القصر ، ينتمون لجنسيات مختلفة ، فبعضهم ملامحه أوروبية ، وبعضهم آسيوى ، وهذا يعنى أن هذا المكان مركز لتدريب جواسيس ينتمون لدول أخرى ، وليسوا مجرد ضباط أسترطانيين ، من العاملين فى جهاز المخابرات الأسترطانى .

أصغى (ممدوح) باهتمام ، قبل أن يقول :

- أتقصد أن هذا المكان يعد مركزاً لتدريب العملاء الأجانب ، الذين يجندون لحساب المخابرات الأسترطانية ؟

خارديس :

- بالفعل .. ولقد علمت أن مدير المخابرات الأسترطانية نفسه زاره مرات .

وبدا الأمر بالفعل مثيراً للاهتمام ، بالنسبة لـ (ممدوح) الذى قال :

- هل هذا هو كل ما لديك من معلومات ؟

عاد (خارديس) يبتسم مرة أخرى ، قائلاً :

- بل إن لدى المزيد .. لقد طلبت من أحد رجالى ، الذين أثق بهم مراقبة القصر بعناية لعدة أيام متوالية ، وقد أخبرنى هذا الرجل أن هناك امرأة حسناء تغادر القصر كل ليلة ، حيث تذهب إلى أحد الملاهى الليلية ، فى بلدة مجاورة ، وفى أثرها عملاق ضخم الجثة يتولى مراقبتها ، وهى تعود إلى القصر فى ساعة متأخرة من الليل ، بصحبة هذا العملاق ، وتتخلف فى بعض الليالى الأخرى ، ولكن الرجل العملاق لا يعود أبداً دونها ، وكأنه حارسها الخاص .

لقد احتفظت لك بهذه المعلومة ، وبصورة الفتاة التى صورها عميلى خلسة ، فقد يفيدك ذلك .

تهلل وجه (ممدوح) ، قائلاً :

- إنها ستفيدنى بلا شك .

ونفض ليصافح (خارديس) بحرارة ، قائلاً :

- أشكرك للغاية .. لقد حصلت منك بالفعل على معلومات

قيمة .

ضغط (خارديس) على يده ، قائلاً :

- أرجو أن تعمل على الإفادة منها جيداً ، وتذكر أنني سأكون هنا في خدمتك في أى وقت ، فلا تتردد في اللجوء إلى ، إذا ما تعرضت للخطر .

قال (ممدوح) ، وهو معجب بشجاعة وإخلاص الرجل :
- ولكننى أعرضك هكذا للخطر أيضاً ، فلن تفلح ثقتهم المفرطة بك ، إذا ما حامت الشكوك حولك .
خارديس :

- ما لا تعرفه هو أنني قد عشت في (مصر) أكثر مما عشت في (اليونان) و (أستراليا) ، إننى أدين بالكثير لهذا البلد ، ولن أتردد في التضحية بحياتى ، كما تفعل أنت في سبيلها .
غادر (ممدوح) المطعم من بابه الخلفى ، وهو يفكر طوال الطريق فى تلك المعلومات التى حصل عليها من (خارديس) ، وأخذت بعض التساؤلات تدور فى ذهنه ، وهو يتجه إلى محطة القطار ، ليستقل القطار المتجه إلى بلدة (كافا) ، المجاورة للعاصمة (الأسترمانية) ، ومعه خريطة مفصلة لها ، ولموقع القصر الذى تتخذة المخابرات (الأسترمانية) مركزاً لتدريب عملائها الأجانب :

- يمكن أن يكون عدد من عملاء شبكة التجسس ، التى تعمل لحساب هذا الجهاز ، ممن يتلقون تدريبهم فى هذا المكان السرى ، حيث يجرى إعدادهم هنا أولاً ، قبل إرسالهم إلى (أوروبا) ، كي يمارسوا نشاطهم !؟

- إذا كان الأمر كذلك ، فهناك احتمال بوجود نسخة من الملف السرى ، الذى يحوى أسماءهم ، داخل هذا المبنى أيضاً ، على الأقل لمراجعة قوائم التدريب .

وإذا كان الأمر كذلك أيضاً ، فهذا القصر سيكون هدفه المنشود .. ولكن عليه أن يتأكد أولاً ، وسبيله الوحيد إلى ذلك هى تلك المرأة الحسنة ، التى تغادر القصر كل ليلة ، فى طريقها إلى الملهى الليلي ، أما التسلل إلى هذا القصر ، أو اقتحام هذه القلعة الحصينة ، فهذه مشكلة أخرى ، يتعين عليه حلها ، إذا ما تأكد من وجود النسخة الأخرى من الملف هناك ..

هذه هى مهمته .

★ ★ ★



٤ - لقاء عنيف ..

وصل (ممدوح) إلى مدينة (راميا) الساحلية ، المجاورة لبلدة (كافا) ، حيث يوجد الملهى الليلي ، وسار على هدى الخريطة التى يحملها ، حتى وصل إلى الملهى الليلي ، وكانت الموسيقى صاخبة بالداخل ، حيث بدا الملهى من ذلك النوع من الملاهى الرخيصة أو مما يطلق عليه ناد ليلي من الدرجة الثانية ، وكانت هناك بعض الموائد المتناثرة حول ساحة للرقص ، انتشر بها بعض الراقصين والراقصات ، وقد اندمجوا فى ذلك النوع من الرقصات العنيفة ، التى تعتمد على استخدام كل خلجة من خلجات الجسم ، واختار (ممدوح) لنفسه إحدى الموائد ، حيث أمسك فى يده كأس الشراب التى أحضرها له الخادم ، وأخذ يراقب ما يدور حوله فى الملهى ، وبعد ثلث الساعة من جلوسه لمحها تدخل إلى الملهى ..

كانت الفتاة جميلة بالفعل ، كما أخبره (خاربيس) ، بل إن كلمة جميلة لم تكن كافية للتعبير عما تحوزه هذه الفتاة من فتنة وإغراء ..

وأخرج (ممدوح) الصورة من جيبه مرة أخرى ، ليتأكد من أنها هى الفتاة المقصودة ، ولما تأكد من ذلك أعاد الصورة إلى جيبه ، وجلس يراقبها بدقة وتمعن .

اتجهت الفتاة على الفور نحو إحدى الموائد ، حيث نهض أحد الأشخاص لاستقبالها ، وقد بدا أنه ينتظرها بشوق بالغ ، وحيته الفتاة بحرارة ، وهى تنهال عليه بالقبلات ، معذرة عن تأخيرها ، وبعد أن تناولا كأسين من الشراب ، نهضا ليرقصا فى الساحة ، مندمجين مع بقية الراقصين والراقصات الآخرين ، فى ذلك النوع من الرقص العصرى العنيف .

وتوقفت الموسيقى الصاخبة فجأة ، لتحل محلها موسيقى ناعمة هادئة ، ودعت الفتاة بنعومة ودلال لمواصلة الرقص معها ، على أنغام هذه الموسيقى ، ولكنه حاول أن يعتذر بعدم إجادته لهذا النوع من الرقص .

وهنا تدخل (ممدوح) ، وهو يقف بينهما ، وعلى وجهه ابتسامة عذبة ، وجهها إلى الفتاة قائلاً :

- أما أنا فأجيد هذا النوع من الرقص .. هل تسمحين لى ؟

وقفت الفتاة مترددة لحظة ، ولكن (ممدوح) لم يعطها الفرصة لمزيد من التردد ، إذ احتواها بين ذراعيه ، وهو يومئ برأسه إلى الرجل الذى حذجه بنظرة غاضبة ، وظل واقفا لبعض الوقت ، فى حالة من التوتر ، بسبب هذا الذى فرض نفسه عليه وعلى فتاته دون استئذان ، ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه وعاد إلى المائدة تاركاً الفتاة بين ذراعى (ممدوح) ، وهو يحاول أن يقنع نفسه بالتحلى بروح الرجل العصرى ، محاولاً إخفاء تبرمه وغيبرته .

أخذ (ممدوح) يراقص الفتاة وعيناه تدوران في المكان ،
بحثاً عن ذلك العملاق ، الذي أخبره (خارديس) بأنه يتبعها
كظلها ، ولكنه لم يستطع أن يتبينه ، وسط هذا الحشد من
الراقصين .

وألقى نظرة سريعة على الرجل ، الذي كان يراقصها ،
فوجده جالساً عند المائدة ، وقد تملكته حالة من التوتر
والضيق .

وهمس (ممدوح) في أذن الفتاة :

- إنك ترقصين برشاقة تستحق الإعجاب .

ورفعت الفتاة رأسها ، ونظرت إليه ، وقد أثر فيها
الإطراء ، قائلة :

- أنت أيضاً تبدو راقصاً بارعاً ، بالرغم من اعتراضى على
الطريقة التى أجبرتني بها على مراقبتك .

قال (ممدوح) مبتسماً :

- وماذا أفعل ؟... إنك فاتنة للغاية ، على نحو جعلنى أفقد
السيطرة على نفسى ، فوجدتني مندفعاً لمراقبتك على هذا
النحو .. أرجو ألا يكون صديقك قد ضايق بذلك .

ألقت نظرة نحو المائدة ، التى يجلس إليها صديقها ، قائلة :

- لقد أثرت غضبه بالفعل .

ثم سألته :

- أنت إيطالى ؟

أجابها (ممدوح) :

- بل يونانى واسمى (جليوس) .. وأنت ؟

أجابته قائلة :

- فرنسية ، وأدعى (سيمون) .

ممدوح :

- هل جئت إلى (أسترتان) من أجل السياحة ؟

سيمون :

- نعم .. وأنت هل جئت إلى (أسترتان) كسائح أيضاً ؟

ممدوح :

- بل من أجل العمل .. إننى بحار ، وأملك سفينة شحن
تجارية صغيرة فى (قبرص) ، وجئت إلى (أسترتان) أملاً
فى عقد اتفاق مع أحد المصدرين أو المستوردين ، لنقل بعض
الشحنات التجارية البسيطة من وإلى (أسترتان) .

لاحظ (ممدوح) أن شيئاً قد جذب انتباه الفتاة نحو باب
الملهى ، فنظر فى ذات الاتجاه ، حيث رأى شخصاً ضخماً
الجلوس ، مفتول العضلات ، له ملامح متصلبة ، ينظر إلى اتجاه
الفتاة بعينين تشع منهما القسوة ، وهو يرمى إليها بإشارة
معينة بذقنه ، وأحسن بالفتاة وقد اعترتها حالة من الارتباك ،
لدى رؤيتها لذلك الرجل ، وسرعان ما أفلتت نفسها من بين
ذراعيه ، وسط الموسيقى ، قائلة :

- آسفة .. يجب أن أنصرف الآن .

اصطنع (ممدوح) الدهشة ، قائلاً :

- ولكن الرقصة لم تنته بعد .

ردت قائلة ، وهي تبادر بمغادرة ساحة الرقص :

- ربما أكملناها في ليلة أخرى .

أسرع يلاحقها قائلاً :

- هل ستأتين إلى الملهى غداً ؟

قالت وهي تسرع الخطأ في اتجاه المائدة التي يجلس إليها

صديقها :

- ربما .

وقف (ممدوح) يراقبها ، وهي تتحدث إلى رفيقها ببضع

كلمات ، ثم رآها تتجه إلى باب الخروج ، وقد وقف رفيقها

يراقبها في حدة ، وألقى نظرة على الرجل الضخم الجثة فراه

واقفاً مكانه في ثبات ، وهو يراقب انصراف الفتاة من الملهى ،

فدفع ثمن الشراب سريعاً ، ثم خرج ليلحق بها ، حيث استوقفها

وهي تهم بفتح باب سيارتها ، قائلاً :

- (سيمون) هل يتعين عليك الانصراف سريعاً هكذا ؟

التفتت إليه قائلة بلطف :

- نعم .. إننى مضطرة لذلك .

سألها بالحاح :

- وما الذى يضطرك إلى ذلك ؟

ألقت نظرة خائفة خلفه ، ثم تحولت إليه ، وقد تبدلت

ملامحها فجأة :

- هذا لا يعنيك .

ممدوح :

- إذن هل تعطينى اسم الفندق الذى تنزلين فيه .. ربما

احتجت إلى الاتصال بك ؟

فتحت الفتاة باب السيارة ، وهي تهم بالركوب قائلة :

- من الأفضل أن تتوقف عن ملاحقتى عند هذا الحد .

حاول أن يقول شيئاً آخر ، ولكنه أحس فجأة بيد قوية تقبض

على ذراعه ، وصوت أجش يقول له :

- ألا ترى .. أنك قد ضايقت الأنسة بما يكفى ؟

استدار (ممدوح) ، ليجد نفسه أمام العملاق ، بوجهه

الصلب ، وهو يرمقه بنظرة متحدية ، فجذب ذراعه من قبضة

الرجل ، قائلاً :

- وما شأنك أنت ؟

أجابه العملاق :

- إننى لأحب الفضوليين أمثالك .

وهنا سمع (ممدوح) صوت سيارة الفتاة ، وهي تتطلى

مبتعدة عن المكان ، فحاول اللحاق بها ، ولكن الرجل أمسك

سترته ليمنعه من الحركة ، فاستدار إليه (ممدوح) سريعاً ،

ليصوب إلى فكه لكمة قوية ، وقبض على راسغ غريمه ، وهو

يدور حول نفسه دورة سريعة ، ليلوى هذا الذراع القوي ، ثم

دفعه بحذانه بقوة فى مؤخرة عموده الفقرى ، فجعل رأسه

يصطدم بإحدى السيارات الواقفة فى الموقف .

وتخلص الرجل من تأثير الضربة القوية ، التي تلقاها في فكه ورأسه ، بحكم قوة بنيانه ، ثم استدار سريعا في مواجهة (مدوح) ، وقد استشاط غضبا ، وهجم عليه وقد تملكته هستيريا من الغضب ، محاولا توجيه لكمة قوية إلى فكه .

ولكن (مدوح) تجنب اللكمة ، ليضرب عنق غريمه ضربة قوية جديدة ، جعلته يترنح جانبا ، وسرعان ما تخلص العملاق من تأثير هذه الضربة أيضا ، وعاود مهاجمة (مدوح) من جديد ، وفي هذه المرة لم تفلح محاولة (مدوح) لتجنب هجمات خصمه ، إذ فاجأه بركلة قوية في معدته ، تألم لها ألما شديدا جعله ينحني إلى الأمام ، وأعقبها بركلة أخرى أشد قوة سدّدها إلى وجهه ، ثم أمسك ياقة سترته بيديه ، دافعا رأس (مدوح) بعنف إلى السيارة التي تقف خلفه ، وأخذ بضرب مؤخرة رأسه بقوة في جسم السيارة المعننى ، وقد بدت ملامح القسوة واضحة على وجهه ، ولكن (مدوح) تغلب على آلامه ، وارتكز بظهره على السيارة ، وهو يثنى ساقيه أمام صدره ، ليدفع بهما جسد العملاق بعيدا عنه ، حيث عاد ليصطدم بإحدى السيارتين اللتين يتصارعان بينهما ..

وفي هذه المرة قفز (مدوح) في الهواء مسدّدا ركلة أشد تأثيرا إلى وجه غريمه ، جعلته يدور حول نفسه وهو يترنح ، ثم سدّد إليه لكمة كالمطرقة ، جعلت وجهه يصطدم بزجاج السيارة الجانبى ، ويهشّمه .



استدار (مدوح) ، ليجد نفسه أمام العملاق ، بوجهه الصلب ، وهو يرمقه بنظرة متحدية ، فجذب ذراعه من قبضة الرجل ..

وعلى الأثر تهاوى الرجل على الأرض ، وقد تركت شظايا
الزجاج آثارها على وجهه .

وسمع (ممدوح) بعض الأصوات قادمة ، وبعضها
بتساعل :

- ما الذى يحدث هناك ؟

فبادر بالهروب من المكان ، قائلاً لنفسه :

- من الأفضل أن نكتفى بهذا القدر من المتاعب .

ثم أضاف بسرعة :

- فى هذه الجولة .

★ ★ ★



٥ - قصر الجواسيس ..

خطت الفتاة عدة خطوات مترددة ، داخل الغرفة الفسيحة ،
حيث رأت حارسها الضخم واقفاً فى أحد أركانها ، وقد أسند
كتفه إلى المكتبة الكبيرة ، التى تحتل هذا الركن ، فى حين بدت
أثار الجروح والكدمات واضحة على وجهه ، ووراء المكتب
العريض ، الذى يقع فى نهاية الغرفة ، كان هناك رجل ضئيل
الجسد ، دقيق الملامح ، يضع على عينيه منظارا طبييا ذا
عدسات مستديرة ، وقد جلس يراجع أوراقا أمامه ، ورفع
الرجل وجهه عن الأوراق الموضوعة أمامه ، وهو يرمق الفتاة
بنظرات صارمة ، من تحت عدسات منظاره ، ثم مالبت أن
قال :

- لقد ارتكبت خطأ فادحا ، بسماحك لذلك الرجل فى الملهى
بمراقبتك ، والتبسط معك على هذا النحو أيتها العميلة .

قالت (سيمون) بصوت مضطرب :

- لقد أقحم نفسه على فجأة ، ولم يدع لى الفرصة للرفض ،
إذ سرعان ما أخذ يراقبني ، دون أن أجد وسيلة للاعتذار .

سألها وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

- تقصدين أنك وجدتني نفسك مدفوعة إلى هذا الموقف ؟

تعلمت (سيمون) بهذا التبرير ، فقالت :

- نعم .. لقد بدا الأمر كذلك بالفعل .

ضرب الرجل بيده في عنف على حافة مكتبه ، قائلاً بصوت غاضب :

- خطأ .. إننا لم ندربك هنا على هذا .. العميل الذي يعمل لحساب المخابرات (الأسترتانية) يجب أن يكون جاهزاً لكل المواقف والاحتمالات ، وليس من المقبول لدينا مطلقاً أن يستسلم لموقف ما ، لأنه شعر بشيء من الحرج ، أو لم يجد القدرة على الاعتذار ، أو أي شيء من هذا القبيل .

ازدريت الفتاة لعابها ، قائلة :

- كولونيل (جوصاف) .. لاتنس أنني مازلت مبتدئة .

هتف الرجل في حدة :

- مبتدئة .. إنك تتدربين لدينا منذ خمسة أشهر ، وأصبحت تحوزين الآن رتبة الملازم في المخابرات (الأسترتانية) ، كما أننا سمحنا لك بالتدريب العملي هنا في (أسترتان) ، قبل إرسالك إلى بلادك ، للبدء في تنفيذ المهام التي ستكلفين بها هناك .

لقد أمرتك بمصاحبة ذلك البلجيكي في الملهى ، والعمل على التأثير عليه ، واستدراجه من أجل الحصول على بعض المعلومات العسكرية ، بحكم منصبه كضابط في الجيش البلجيكي ، ولكنك بدلاً من هذا أثرت غضبه وغيرته ، بمساحك لذلك الرجل الآخر بالتدخل بينكما ، والاستغراق معك في الرقص .

ألم يدرك في خلدك أن هذا الرجل ربما كان عميلاً مدسوساً عليك ، من أحد أجهزة المخابرات المعادية .

وتطلعت إليه الفتاة بدهشة ، وكأنها تستبعد هذا الاحتمال ، قائلة :

- عميل ؟ إنه لا يبدو كذلك مطلقاً .. كما أنه لم يحاول أن يستدرجنى للحصول على أية معلومات .
سألها قائلاً :

- ولكنه غازلك .. أليس كذلك ؟

أجابته بشيء من الحرج :

- نعم .. ولكن في حدود اللياقة .

عاد يقول بنبرات صوته الحادة :

- لقد قلت لك من قبل : إن دورك في الملهى مع ذلك البلجيكي على الرغم من أهميته ، ليس سوى جزء من تدريبك ، قبل أن تكلفى المهام الحقيقية ، وربما لم يكن هذا الشخص الآخر عميلاً كما تقولين ، ولكننى أتكلم عن الاحتمالات .. إننا هنا لانسمح بأى احتمال للخطأ ..

قد تتعرضين لأمر كهذا بعد سفرك إلى (فرنسا) .. شخص يستغل وسامته وبراعته في الحديث ، لمحاولة التأثير عليك ومصاحبتك ، وربما كان هذا الشخص مدسوساً من أحد أجهزة المخابرات الأخرى ، فعندما تقعين تحت تأثيره ، وتسلمين له قيادك ، تكون الطامة الكبرى ، إذ إنه لن يلبث أن يعرف حقيقة

دورك .. بل وربما أستغفرك في العمل ضدنا .. لا مجال للمواطفة
لمن يعملون في مهنتنا .

احتجّت الفتاة قائلة :

- كولونيل (جوساف) .. لقد اختبرتنى جيدًا ، وأعتقد أنك
تعرف تمامًا أنني لست بهذه السذاجة ، التي تجعلني أقع تحت
تأثير أحد الأشخاص ، لمجرد ترديد بعض الكلمات العاطفية
على أذني ، كما أنني لو لم أكن موضع ثقكم على النحو الذي
يحول بيني وبين أن أعمل كعميلة مزدوجة لحساب جهة أخرى ،
فإنه من الأفضل أن ينتهي الأمر بيننا عند هذا الحد .

ارتسمت على وجه الكولونيل (جوساف) ابتسامة
ساخرة ، وهو ينظر إلى الفتاة قائلاً :

- ليس بهذه السهولة أيتها الحسنة .. لقد وصلت معنا إلى
الحد الذي يستحيل معه إنهاء الأمر بيننا .. أنت الآن ملزم في
المخابرات (الأسترالية) ، وبذلك أصبحت مرتبطة بنا
إلى الأبد .

قال وهو يضغط على كلماته لكي تفهمها الفتاة بوضوح :

- الشيء الوحيد الذي يفرق بينك وبيننا هو الموت ..

والموت فقط .

ارتعدت الفتاة قليلًا وقد بدا اضطرابها واضحًا لدى سماعها
هذه الكلمات ، وتركها الكولونيل في اضطرابها هذا ، وهو يعود
إلى مطالعة الأوراق الموضوعية أمامه ، ثم قال بعد برهة من
الوقت ، دون أن يرفع نظره إليها :

- يمكنك أن تنصرفي الآن .

سألته الفتاة :

- هل سأعود إلى الملهى الليلة ؟

قال وهو مستمر في تقليب الأوراق أمامه :

- ستصدر لك تعليمات بهذا الشأن .

استدارت الفتاة ، وأسرعت بمفارقة الغرفة ، في حين

اقترب الرجل الضخم من الكولونيل قائلاً :

- إنها تكذب .. الأمر لم يبد بالنسبة لي مجرد موقف

مخرج ، اضطرتها الظروف أن تستسلم إليه .. بل لقد بدا

واضحًا أنها معجبة بالرجل .. بل كان من الواضح أنها متبرمة

للفاية ، عندما أشرت إليها بالتوقف عن مراقبته ، والتوجه

إلى مائدة الضابط البلجيكي .

هذه الفتاة عاطفية ، ومن السهل أن تقع تحت تأثير

عواطفها ، فتكون خطرًا علينا .

قال الكولونيل (جوساف) :

- أشاركك الرأي ، ولكن ليس هذا ما يقلقني .. ما يقلقني

بالفعل هو حقيقة ذلك الرجل الذي راقبها .

لقد بدا تدخله غريبًا ، كما أن إلحاحه على الاتصال بالفتاة

غير طبيعي ، خاصة وأن الملهى كانت به الكثيرات من

الحسنات غير (سيمون) ، وبعضهن بلارفاق ، فلماذا سعى

إلى (سيمون) بالذات ، وتعمد ملاحقتها على هذا النحو ؟

ثم إن الإصابات التي ألحقها بك ، برغم قدراتك التي أعرفها جيداً ، تدل على أنه ليس مجرد شخص عادى ، بل هو شخص محترف ومدرب على وسائل القتال .

سأله الضخم :

- هل تعتقد أنه يمكن أن يكون عميلاً بالفعل ؟

قال الكولونيل (جوساف) ، وهو يرتكز بمرفقيه على مكتبه ، وفي عينيه نظرة تركيز واضحة :

- هذا احتمال وارد .. أوراق التحقيق الذى أجرى مع الفتاة أمامى ، وهى تشير إلى أنه ادعى للفتاة أنه بحار ، ويمتلك سفينة شحن تجارية صغيرة فى (قبرص) .

والبحارة يجنون القتال بلاشك ، فلا بأس من أن يكون قد أحدث بك بعض الإصابات فى عراكه معك ، كما أنه ربما وقع تحت تأثير جانبية الفتاة ، فسعى إليها على هذا النحو فى الملهى ، خاصة وأن البحارة يندفعون غالباً وراء عواطفهم ، ويفتقرون إلى اللياقة أحياناً .

كل تلك الاحتمالات واردة ، ولكن يتعين علينا أن نحسم الأمر بشأنه .

وضغط على زر موضوع أمام مكتبه ، قائلاً :

- (جورى) ابعث رسالة لاسلكية سريعة إلى (قبرص) .. أريد معلومات وافية بشأن سفينة شحن تجارية صغيرة ، يمتلكها بحار يونانى يدعى (جليوس) .. يجب أن تكون هذه المعلومات على مكتبى خلال ثمان وأربعين ساعة من الآن .

ثم التفت إلى الرجل الضخم قائلاً :

- وأنت .. عليك أن تتعرف المكان ، الذى يقيم فيه هذا الرجل ، هنا ، وأن تجرى تحريات دقيقة عنه ، كما أريد منك أن تعرف إذا ما كان قد أجرى اتصالات حقيقية ، بشأن عقود استيراد وتصدير مع بعض الشركات هنا .

قال الضخم ، وهو يتأكد من وجود المسدس ، الموضوع فى الجراب الملفف حول إبطه :

- وإذا ما تتبعه الرجل للتحريات ، التى أجريها بشأنه ، وتصدى لى بطريقة أو بأخرى ؟

خذه الكولونيل (جوساف) بنظرة مؤنبة ، قائلاً :

- إن عميلاً محترفاً مثلك لن يسمح له بالطبع أن يتبين حقيقة التحريات ، التى تجريها بشأنه .

رد الضخم قائلاً :

- إننى أفترض .. هل يسمح لى بقتله فى هذه الحالة ؟

قال الكولونيل (جوساف) بشيء من التردد :

- إذا ما اضطرتك الظروف لذلك .

ارتسمت على وجه العملاق ابتسامة قاسية ، وهو يسمع

هذا الرد من رئيسه ، وأخذ يفرك يديه قائلاً :

- اطمئن ياسياد الكولونيل .. سأؤدى عملى على أكمل

وجه ، وهم بالانصراف ومغادرة الحجرة ، ولكن الكولونيل

(جوساف) استوقفه قائلاً :

واستقل السيارة مغادراً القصر الذى تتخذة المخابرات
(الأسترتانية) مركزاً لتدريب العملاء الأجانب ، وكل عروقه
تنبض بفكرة واحدة ..
القتل .

★ ★ ★



- انتظر .
ثم نهض من وراء مكتبه ليقتررب منه ، وهو يحدجه بنظرة
محتدة قائلاً :

- عليك أن تلتزم بتعليماتى حرفياً ، دون مبالغة من جانبك ،
فأنا أعرفك جيداً تعطشك للقسوة واستخدام عضلاتك بطفى على
سلامة تفكيرك ، وربما دفعتك رغبتك فى الانتقام من ذلك
الرجل ، الذى تركت لكماته آثارها فى وجهك ، إلى التركيز على
شئ واحد ، وهو ضرورة قتله ، دون أن تعابى بما طلبته منك من
ضرورة أن يكون ذلك تحت ضغط ظروف اضطرارية فقط ، ولن
أغفر لك ارتكاب خطأ كهذا ، إذ لو تبين لنا أن الرجل عميل
حقيقى ، فإنه يتعين علينا أن نرجع فى هذه الحالة إلى
الرئاسة ، لنقرر ما يجب عمله بشأنه .

قال الضخم بجدية :

- سألتزم بالتعليمات حرفياً ياسيادة الكولونيل .
أشار له الكولونيل لينصرف ، ولم يكد الرجل يغلق الباب
خلفه ، حتى عاد يبتسم لنفسه تلك الابتسامة الوحشية ، التى
تنبى عن مزاجه الدموى .. لقد عقد العزم على التخلص من
(ممدوح) سواء تبين له أنه عميل أم لا .
وقال لنفسه متمتماً :

- الرجل الذى يجرو على ضرب (لوبال) يجب أن يموت ،
مهما كانت الأوامر الصادرة بشأنه .

٦- الصراع الرهيب ..

عاد (ممدوح) في الليلة التالية إلى الملهى الليلي ، حيث جلس إلى نفس المائدة ، التي جلس إليها في الليلة الماضية ، وهو يأمل في حضور الفتاة الفرنسية إلى الملهى ، ولكن ساعات طويلة مضت ، دون أن تحضر الفتاة أو صديقها ، وأحس (ممدوح) بالضيق ، فقد كان يمتنى نفسه بقاء الفتاة مرة أخرى ، إذ قدر أنها حتى لو لم تعاود الحضور ، كما تفعل كل ليلة ، وفقا لما أخبره به (خارديس) ، فربما أرسلوها للتجسس عليه ، وجمع بعض المعلومات عن شخصه ، بعد أن لفت الأنظار إليه بملاحقته لها أمس وشجاره مع ذلك الحارس العملاق ، الذي يتولى حمايتها .

وكانت حاجته إليها ، للحصول على أية معلومات تفيد بشأن مهمته ، أكثر من حرصه على سلامته أو حذره من الدور الذي يمكن أن تلعبه معه ، فيما لو كانوا يشكون في أمره ..

ولم يكن (ممدوح) يدري أنه قد جذب الأنظار إليه بالفعل ، وأنه في هذه اللحظة كانت عيون شريرة تراقبه ، من حيث لا يدري ، وهي تتحين الفرصة المناسبة للقضاء عليه ..

ومالبت (ممدوح) أن أترك أنه لا فائدة من الانتظار ، فغادر الملهى في ساعة متأخرة من الليل ، في طريقه إلى فندقه .

كان الظلام يسود الطريق الذي يسير فيه ، والتقطت أذنه الحساسة صوتًا لوقع أقدام تتبع خطاه ، فتوقف قليلاً عن السير ، وهو يرهف السمع ، حيث توقفت الأقدام على الأثر . ومالبت أن عاود السير مرة أخرى ، وبدلاً من أن يسرع الخطا عرج إلى طريق جانبي ، ثم اختبأ في مدخل أحد المباني المتهدمة ، وسمع وقع الأقدام وقد ازدادت سرعته ، ثم لمح العملاق وهو يمر أمامه ، حيث وقف على الرصيف في حيرة باحثاً عنه .

وأحس (ممدوح) بشيء من الارتياح ، لدى رؤيته هذا الرجل ، فهذا يعني أنه قد نجح في لفت الأنظار إليه ، وأن الليلة لن تمر هباءً ، والأحداث ستزداد سخونة ..

وانتظر (ممدوح) برهة من الوقت ، تاركاً الرجل واقفاً في حيرته ، وهو يقلب البصر يميناً وشمالاً بحثاً عنه ، ثم بدا أنه أحس بأنه لا فائدة من الانتظار ، فتابع طريقه وهو يسب ويلعن ، وتركه (ممدوح) يسبقه بثلاثين متراً ، ثم تبعه وهو يهتدى إلى مكانه بوقع أقدامه على الطريق ..

واجتاز الرجل عنذاً من الشوارع والطرق ، قبل أن يتجه في طريق الميناء ، حيث اتجه إلى بقعة معزولة ، بها عدد من القوارب القديمة والسفن المعطلة .

ولم يدرك (ممدوح) أن الرجل يحاول أن يجتذبه إلى فخ ، في هذه البقعة المنعزلة ، ليعمل على القضاء عليه ، دون أن

يلفت الأنظار ، إذ إن أذنه أيضا لم تكن تقل حساسية ، خاصة بالنسبة لعمل محترف مثله ، واستطاعت أن تلتقط وقع أقدام (ممدوح) ، فعمل على جذبته إلى هذا المكان ..

ووقف (ممدوح) حائرا بدوره ، وهو يحاول العثور على الرجل ، بعد أن توقف صوت أقدامه فجأة ، ولكنه كان أكثر حذرا ، إذ أخذ يسير بين السفن والقوارب في ببطء ، وعيناه تدوران في مقلتيهما ، وقد دفع يده تحت سترته ، بالقرب من مسدسه المعلق في الجراب ، تحسبا لأية مفاجأة قد تحدث ..

وفي هذه اللحظة كان (لوبال) قد أخرج من جيبه سكينًا حادًا ، وقد اختفى وراء مقدمة إحدى السفن ، الراسية على رصيف الميناء ، في انتظار اقتراب (ممدوح) ، الذي كان يخطو بالفعل في اتجاه السفينة .

وعندما أصبح على مسافة متر واحد منه ، ظهر له (لوبال) فجأة من وراء مقدمة السفينة ، وبحركة سريعة ومباغثة دفع نصل السكين الحاد إلى ذراع (ممدوح) ، المخفية تحت سترته ، فقد كان بحكم خبرته أيضًا مدركًا مغزى وجود هذه الذراع أسفل السترة ، على هذا النحو ، وعلى الرغم من أن نسيج الملابس ، التي يرتديها (ممدوح) قد قلل من أثر انغراس السكين في ذراعه ، إلا أنها كانت كافية لإحداث جرح قطعي في ساعده ، على نحو جعله يصرخ من الألم ، دون أن تقوى أصابعه على التقاط المسدس ، ونزفت الدماء من



وعندما أصبح على مسافة متر واحد منه ، ظهر له (لوبال) فجأة من وراء مقدمة السفينة ..

ذراعه ، فى اللحظة التى دفعه فيها (لوبال) فى مقدمة السفينة ، وهو يرفع يده بالسكين عاليا استعدادا لاستخدامها فى وجهه ، قائلا :

- ها نحن أولاء قد التقينا ثانية أيها البحار .

وأحدث جرحا ظاهرا فى صدغ (ممدوح) بسكينه . وهو يقول (بغلظة) :

- لن تكون ميمتك سريعة ، بل سأجعلك تتمنى لو كانت كذلك ، بعد أن أمزق كل جزء من أجزاء جسدك ، جزاء تحديك لى .

وعمد إلى دفع السكين مرة أخرى إلى وجه (ممدوح) ، الذى تفادى نصلها الحاد ، لتنفرز فى مقدمة السفينة الخشبية . وقبض (ممدوح) على رسغ الرجل ، ليمنعه من انتزاع السكين من مكانها ، ولكن (لوبال) رفع ركبته إلى أعلى ، ليصدم بها فك (ممدوح) صدمة قوية ، ثم أمسك شعره ، ليجذبه فى اتجاهه ، مسددا له لكمة عنيفة ترشح لها (ممدوح) ..

وبكل الحقد والقسوة الكامنة فى نفس الرجل ، لوى ذراعه الجريحة ، وهو يقبض على سترته من الخلف ، ليدفع به إلى الماء ، من ارتفاع أكثر من متر ..

وشعر (ممدوح) بألم صارخ ، من جراء التواء ذراعه الجريحة ، حتى أنه لم يقو على المقاومة ، فترك نفسه يهوى

إلى الماء ، دون أن يحاول الدفاع عن نفسه ، فى حين عاد (لوبال) ينتزع السكين من مقدمة السفينة ، وهو عاقد العزم على مواصلة الإجهاز على (ممدوح) حتى النهاية ، إلى درجة أنه نسي المهمة الأصلية ، التى كلفه إياها رئيسه ، لمعرفة حقيقة أمره .

وكان (ممدوح) قد تعلق بأحد القوارب ، وحاول مساعدة نفسه على الصعود إليه معتمدا على ذراعه السليمة ، ولكن (لوبال) لم يترك له الفرصة ، إذ قفز وراءه فى الماء ، ومعه سكينه ، ليجذبه من شعره مرة أخرى إلى الوراء ، والسكين مرفوع فى يده ، محاولا إصابة عنقه ، ولكن (ممدوح) غطس سريعا فى الماء ، ليحول بين السكين وتحديد الهدف ، وشق نصل السكين الحاد الماء ، بالقرب من عنقه ، فى حين عاد (لوبال) يجذبه من شعره إلى أعلى مرة أخرى ، ليعاود رفع السكين ..

وفى هذه المرة دفع (ممدوح) أصبعيه إلى عيني غريمه بقوة ، فأجبره على إغماضهما ، لتطيش سكينه عن هدفها من جديد ، ثم استغل اندفاع جسم الرجل إلى الأمام ، وهو يحاول الطعن بالسكين ، ليقبض على شعره بدوره ، وهو يجذبه معه إلى أسفل سطح الماء ..

وبكل ما أوتى (ممدوح) من قوة وعزم ، تمكن من دفع رأس غريمه بين ساقيه ، فى حين ثبت يده القابضة على

السكين إلى أعلى في وضع رأسى ، وتمكن من الاحتفاظ بهذا الوضع لعدة دقائق ، تحت سطح الماء ، معتمداً على قوة رنتيه ، حتى ارتخت ذراع غريمه ، وأفلت السكين من يده ، فأيقن أنه غرق ، مما دفعه إلى التخلي عنه ، والصعود برأسه إلى السطح مرة أخرى ، وأخذ يستنشق الهواء ليعوض الأكسوجين الذى فقده ، ثم حاول مساعدة نفسه على اعتلاء سطح القارب مرة أخرى ، لكنه فوجئ بغريمه ، الذى خدعه بالتظاهر بالفرق ، يبرز له فوق سطح القارب ، بعد أن استطاع اعتلاءه من الجهة الأخرى ، وقد أمسك بالمجداف الخشبى الموجود فى القارب ، ليضرب به بشدة على يد (ممدوح) التى تعلقت بحافته ، وأتبع ذلك بضربة أخرى قوية على رأسه ، محاولاً إغراقه ..

وأثرت الضربة على (ممدوح) ، على نحو كاد يفقد معه وعيه ، ولكنه قاوم ، وأخذ يتفادى الضربات الموجهة إليه ، محاولاً السباحة فى اتجاه رصيف الميناء ..

كانت آلام ذراعه الجريحة تشتد عليه ، وضاعف من قسوتها ذلك الصراع الذى أنهكه ، فحاول تفادى الاستمرار فى الاشتباك مع خصمه ، ولكن (لوبال) حال بينه وبين مواصلة السباحة فى اتجاهه ، نحو رصيف الميناء ، بتسديد ضربة أخرى قوية بمجدافه ، أصابت كتف (ممدوح) ، الذى لم يجد بداً من مواصلة النضال ، فتحول إليه بعزيمة المناضل ،

سابقاً فى اتجاه القارب ، دون أن يعبا بضربات المجداف ، التى أخذ يصوبها إليه ، لتشق الماء حوله ، وهو يتفادها بمهارة . وهتف به (لوبال) بقلظة ، وهو يعاود رفع المجداف عالياً ، ليضربه به فى رأسه :
- سأجعل البحر مقبرتك .

ولكن (ممدوح) غطس سريعاً ، فى اللحظة التى هوى فيها المجداف إلى الماء ، وهو يدفع بنفسه إلى الأعماق ، ليتفادى تأثير ارتطام المجداف برأسه ، وعندما ظهر رأسه مرة أخرى على السطح ، كان قد قبض بيديه على نهاية المجداف الخشبى كالطوق الحديدى .

وبقوة غير عادية ، خلقها التحدى والإصرار ، جذب (ممدوح) المجداف نحوه ، جاذباً معه غريمه ، ليهوى به إلى البحر ..

وغاص (لوبال) فى الماء ، ولكنهبقى متشبهاً بالطرف الآخر من المجداف ، حيث أخذ يتجاذبه مع (ممدوح) ، ونجح فى انتزاع المجداف من (ممدوح) ، بعد أن استغل ضعف ذراعه الجريحة ، ليرد بمقدمته ضربة قوية أصابت صدغه ، وجعلت رأسه يصطدم بجسم القارب .

وقبل أن يتخلص (ممدوح) من تأثير الضربة ، التى تلقاها فى وجهه ، كان (لوبال) قد سبح فى اتجاهه ، وقد قبض على المجداف بيديه من الجهتين ، ليثبتته على حنجرته ، وهو

يضغط عليها بقوة ، حاشراً عنقه بين جسم القارب والمجداف الخشبي ، عاملاً على خنقه ..

وغالب (ممدوح) آلام ذراعه ، مستنفراً عزمته ، ومتشبثاً بالحيلة ، محاولاً مقاومة دفع خصمه للمجداف الخشبي بالدفع المعاكس ، لكن مقاومته لم تنجح إزاء الإصرار الشرس لغريمه ، الذي أخذ يضغط على قصبته الهوائية بالمجداف ، في وحشية .

وفي محاولة أخيرة منه للنجاة ، رفع (ممدوح) كلتا يديه عالياً ، لينهال بضربة قوية بحدى كفيه ، على عنق خصمه ، وجاءت الضربة من القوة ، بحيث أصابت عنق (لوبال) بألم حقيقى ، جعل يديه ترتخيان قليلاً على المجداف ، وكان هذا هو ما يحتاج إليه (ممدوح) إذ مكنه ذلك من القبض على المجداف بدوره ، وانتزاعه من بين يدي غريمه ، وسدد ضربة قوية بأحد جانبي المجداف لئك (لوبال) ، فأطاح به بعيداً عنه .

وقبل أن يفيق (لوبال) من الضربة ، عاجله (ممدوح) بضربة أخرى أشد قوة على رأسه ، ثم اتبعها بثالثة ، ليفوص بعدها (لوبال) فى الماء فاقدًا الوعي ..

وارتكن (ممدوح) برأسه قليلاً إلى القارب ، وهو يلتقط أنفاسه اللاهثة ، بعد هذا الصراع العنيف ، الذى خاضه مع ذلك السفاح ، ومالبت أن رأى جثة (لوبال) طافية على الماء ، بعد أن قضى نحبه غريقاً .

اقترب (ممدوح) منه ليفتش فى جيوب سترته ، حيث وجد بطاقة بلاستيكية ، مدوّناً عليها اسمه ورقمه الكودى (١٤) ، ومهنته كعميل فى الوحدة الرابعة للمخابرات (الأسترتالية) ، ورتبته كملازم فى هذه الوحدة .

كما وجد معه بطاقة أخرى ، بها صورة للفتاة (سيمون) ، ومسجل أمامها بيان يشير إلى أنها عميل تحت التدريب ، فوضع البطاقتين فى جيبه ، ثم تحامل على نفسه ليسبح متجهاً نحو رصيف الميناء ، وقد انهكه الألم والتعب الشديد ، وأدرك أن مهمته الحقيقية قد بدأت .. بدأت بحق .



٧ - الشريك الناعم ..

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية عشرة مساءً ، عندما اجتازت سيارة سوداء كبيرة بوابة القصر ، وأسرع شخصان بالهبوط من السيارة بمجرد وقوفها ، حيث بادر أحدهما بفتح بابها ، ليفادها شخص متوسط القامة ، يرتدى معطفاً بنياً ، ويضع عصا سوداء على إحدى عينيه ، وقد بدت عينه الأخرى شديدة الجحوظ .

وأمام المدخل استقبله الكولونيل (جوساف) ، محيياً بحرارة ، وهو يقول :

- إنه لشرف عظيم أن تأتي لزيارتنا في مركز تدريب الوحدة الرابعة ياسيادة الجنرال .

رد عليه الرجل بفتور ، وهو يتقدمه إلى الداخل ، قائلاً :

- دعك من المجاملات يا (جوساف) .. أنت تعلم الهدف من وراء زيارتي للوحدة الرابعة .

قال (جوساف) بارتباك :

- وكيف يتسنى لي أن أعرف ياسيادة الجنرال ؟

قال الجنرال بخشونة :

- عن طريق أصدقائك وعمالك في الإدارة العامة بالطبع ..
ألا يبلغونك بمواعيد التفتيش ، التي تتم على المركز بصفة

منتظمة ، وفي المواعيد الملائمة ؟. هل تظن أنني لا أعرف ما الذي يدور هنا ؟

فرك (جوسان) يديه قائلاً ، وفي صوته شيء من المداهنة :

- على كل حال .. المركز مستعد للتفتيش في أي وقت ، وفي أية لحظة ياسيادة الجنرال ، فنحن نؤدي عملنا على أفضل وجه .

قال ذلك وهو يفتح باب حجرته للجنرال ، مفسخاً له الطريق للدخول ، حيث تقدم الجنرال إلى الداخل ، و (جوساف) خلفه ، في حين بقي الشخصان اللذان اصطحباه أمام الباب بالخارج ، ونزع الجنرال قفازيه ، قائلاً :

- إنني لم آت إلى هنا من أجل التفتيش يا (جوساف) .
ولكني أريد أن أعرف ما الذي يحدث في هذا المكان .
سأله (جوساف) :

- لا أفهم ماذا تعني بهذه العبارة ياسيدي ؟
جلس الجنرال فوق أحد المقاعد ، واضعاً ساقيه فوق أخرى ، وهو ينظر إلى الكولونيل (جوساف) قائلاً :

- لقد وجدت جثة أحد رجالك طافية فوق سطح الماء ، إلى جوار رصيف الميناء ..

أليس كذلك ؟

أجابه (جوساف) ، وهو يجلس على المقعد المواجه للجنرال :

- نعم ياسيدى .. لقد وجد (لوبال) غريقاً بالأمس .
ضرب الجنرال بيده فى عنف على مسند المقعد الجالس
عليه ، قائلاً وقد ازدادت نبرات صوته خشونة :
- بل قتيلاً .. لقد كانت آثار الضربات والكدمات واضحة على
وجهه ، عندما انتشلت جثته من الماء .
قال له (جوساف) :
- نعم ياسيدى .. لقد أخبرت الإدارة ...
قاطع الجنرال :

- نعم أخبرت الإدارة ، ولكنك لم تنتظر حتى تتلقى منا
التعليمات ، بشأن ذلك البحار المزعوم ، وفضلت أن تتحرك من
تلقاء نفسك ، وبذلك تسببت فى مقتل واحد من أفضل رجالك ،
وأثرت مزيداً من الشك حول العمل الذى يدور هنا .
جوساف :

- لقد أدبت أن استكشف حقيقة هذا الرجل ، وما إذا كان
يشكل خطراً ما ، بالنسبة لعملنا هنا .

قال الجنرال ، وهو مستمر فى انفعاله :
- عمك هو الإشراف على هذا المركز ، لإعداد عملاء من
طراز رفيع ، يمكن استخدامهم فى الخارج ، من أجل مهام
محددة ، وأما ما يتعدى ذلك فهو من اختصاصنا ، وما عليك
إلا إبلاغنا بالشكوك التى تساورك فقط ، بخصوص أشخاص من
طراز ذلك البحار ، أو أى أمر آخر يتعدى نطاق التدريب ، ونحن
لدينا من يتولى مثل هذه الأمور .

وصمت قليلاً قبل أن يقول :

- إنك حتى لم تحسن اختيار الشخص المكلف معرفة حقيقة
هذا الرجل ، فـ (لوبال) أخصائى فى القتل والتعذيب ، وطبيعته
تميل دائماً إلى القسوة والسادية ، وليس هو بالشخص الذى
يجيد جمع المعلومات ، وهكذا فإنه عرض نفسه لمواجهة تأريفة
مع ذلك البحار ، انتهت بموته ، دون أن يحقق النتيجة
المرجوة .

قال (جوساف) وقد تقلصت عضلات وجهه :
- لا أدري كيف تمكن منه ذلك الرجل ؟ .. لقد كان من أفضل
رجالى .

رد عليه الجنرال ، وقد اكتسب صوته بنبرة هادئة :
- وهذا يعنى أن خصمه ليس بالشخص الهين .. لقد تسلمت
التقرير الخاص بالمعلومات ، التى تم جمعها بشأنه فى
(قبرص) ..

هناك بالفعل سفينة شحن تجارية صغيرة ، مقيدة باسم
(جلسياس) فى (قبرص) ، ولكن تاريخ تسجيلها بهذا الاسم
مدون منذ فترة قصيرة ، كما أن ذلك الرجل لم يسع لعقد صفقات
جادة مع أى من المصدرين أو المستوردين هنا منذ حضوره ،
وهذا يلقي بظلال من الشك حوله ، خاصة إذا ما أضفنا إلى ذلك
ملاحقته لعميلتك بالذات ، وذهابه اليومى إلى الملهى ، من أجل
الالتقاء بها ، على الرغم من تجاهله لغيرها من الفتيات

الأخريات ، وقدراته التي مكنته من التغلب على شخص مثل
(لوبال) ، وهو واحد من أكفأ رجالك كما تقول .

قال (جوساف) سريفا :

- إذن فإن شكوكي كانت في محلها .

الجنرال :

- إننا لم نجزم بذلك بعد ، لكننا لن نترك أى شيء
للاحتمالات .. علينا أن نعرف الحقيقة ، التي تختفى وراء ذلك
الرجل ، وأيا كان الأمر ، لابد من قتله في النهاية ، ووسيلتنا في
ذلك ستكون هي فتاتك ، فمن الواضح أنه يسعى خلفها ، وهو
يذهب إلى الملهى كل ليلة أملاً في الالتقاء بها ؛ لذا فستذهب إليه
الليلة القادمة ، وستكون هي الطعم الذي سنستخدمه
لاستدراجه ، ومعرفة دوره الحقيقي .

جوساف :

- ولكن هناك احتمال لأن نكون إزاء عميل محترف كما
قلت ؛ لذا فإن استخدام عميلة مبتدئة مثل (سيمون) سيكون
أمراً محفوفاً بالمخاطر ، فضلاً عن أنني لا أثق كثيراً بهذه
الفتاة .

الجنرال :

- لقد قلنا أنها ستكون بمثابة طعم فقط ، وأما الباقي ،
فسننتولاه نحن ، وإذا كنت تشعر بشيء من عدم الثقة فيها كما
تقول ، فسوف أجعل رجالاً يتولون أمرها ، بعد أن تنتهي من

أداء مهمتها ، إذ لا يمكننا الاعتماد على أشخاص لا يمكننا أن
نمنحهم ثقتنا كاملة .

★ ★ ★

خاص (ممدوح) في مقعده ، وهو يتناول شرابه ، في أحد
أركان الملهى ، وتحسب ذراعه الجريحة تحت سترته ، بعد أن
ربطها ببعض الضمادات ..

كان هناك بعض الألم ، ولكنه لم يكن يقارن بالآلام التي
عاناها من قبل ، وعندما انتهت الفقرة الموسيقية ، التي أدتها
إحدى الفرق ، وعاد الراقصون ، إلى أماكنهم ، لمح الفتاة وهي
تدخل الملهى ، وعيناها تدوران في المكان ، وقبل أن ينهض
(ممدوح) لاستقبالها .. عادت الموسيقى تنبث في أرجاء
المكان مرة أخرى .

وسارع أحد الأشخاص بدعائها إلى الرقص ، قبل أن يسبقه
إليها أحد من رواد الملهى ، فلم تجد الفتاة مفراً من قبول
دعوته .

وتقبل (ممدوح) الأمر بروح رياضية ، فعاد إلى مائدته ،
وهو ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة مرحة ، إذ كان واثقاً من
أنها ستأتى إليه ، بعد أن تنتهي من رقصتها ، وأنها لم تأت إلى
الملهى هذه المرة إلا من أجله وحده فقط ، وابتسمت له الفتاة
وهي تراقص زميلها ، رداً على إشارته ، وما أن انتهت الفقرة
الموسيقية حتى استأذنت الفتاة من رفيقها ، واتجهت صوب



وما أن انتهت الفقرة الموسيقية حتى استأذنت الفتاة من رقيقها . واتجهت صوب مائدة (مدوح) ، الذى نهض لاستقبالها ..

مائدة (مدوح) ، الذى نهض لاستقبالها ، حيث قالت له بمرح :

- هأنذى قد وفيت بوعدى .. الرقصة القائمة ستكون من نصيبك .

ابتسم (مدوح) ، وهو يتناول يدها بين يديه ، قائلاً :

- كنت فى انتظار حضورك .

قالت وهى ترنو إليه بإعجاب :

- أنت واثق من نفسك دائماً هكذا ؟

ضحك (مدوح) قائلاً :

- إننى أعتد على حظى الحسن .

عادت الموسيقى تتردد فى المكان مرة أخرى ، فقال لها (مدوح) :

- أعتقد أنه حان الوقت لنكمل رقصتنا السابقة .

ثم أحاط خصرها بذراعه ، وهو يدور بها فى ساحة الرقص ، وقال لها مبتسماً :

- أمازلت تربتنى راقصاً جيداً ؟

قالت وهى تزيج بعض خصلات الشعر من على جبينها :

- أعتقد أنك لست بحاجة إلى شهادة منى بذلك .

وصمتت قليلاً ، وهى مستكينة بين ذراعه ، ثم رفعت إليه رأسها قائلة :

- لماذا أصررت على ملاحقتى بهذه الطريقة ، فى المرة

السابقة على الرغم من أن الملهى كان مزيجاً بعشرات الفتيات
الجميلات ، اللاتي يسعدن أن يحظين باهتمام شاب وسيم
مثلك ؟

أجابها (ممدوح) قائلاً :

- هذا لأننى لم أر منهم من تفوقك جمالاً وجاذبية .

قالت الفتاة باسمه :

- على الرغم من أنك ترضى غرورى بعبارة كهذه ، إلا أننى
لأعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى .

ممدوح :

- يمكنك أن تعدى ما قلته أحد الأسباب .

رنت إليه قائلة :

- وما بقية الأسباب الأخرى ؟

نظر (ممدوح) حوله ، قائلاً :

- لأعتقد أن مجال الحديث فيها يصلح هنا .

عادت إليه قائلة وفى صوتها رنة إغراء واضحة :

- مارأيك فى مكان هادى ، منزل ، يبعد نصف ساعة فقط

عن هذا الملهى ؟ أيروقيت مثل هذا المكان لشرح أسبابك ؟

ممدوح :

- أعتقد أن مكاناً كهذا سيروقتى تماماً .

ضحكت الفتاة قائلة :

- إنك حتى لم تعدلنى عما يكون هذا المكان ؟

رد عليها قائلاً :

- أعتقد أن أى مكان سأذهب إليه معك ، لابد أن يكون
رائعاً .. لذا فلمت بحاجة للسؤال عنه .

قالت الفتاة ، وقد وضع تأثير عبارات (ممدوح) عليها :

- على كل حال .. إنه منزل صغير ، يطل على البحر ،

استأجرته لعدة أيام ، بدلاً من تلك الغرفة الصغيرة التى أقطنها
بالفندق .

أطلق (ممدوح) صفيراً قصيراً ، قائلاً :

- منزل يطل على البحر .. هذا يعنى أنك ثرية بلا شك .

سيمون :

- الأمر لا يعدو بضعة أيام فقط ، من أجل قضاء إجازة

ممتعة ، والآن هل نختصر رقصتنا ، ونسرع بالذهاب إلى هناك ؟

توقف (ممدوح) عن مواصلة الرقص ، قائلاً :

- أعتقد أن الأمر يستحق التضحية باستكمال الرقص هذه

المرة .

واستدعى الساقى ليدفع الحساب ، ثم اصطحبها خارج

الملهى ، وقد تيقظت كل حواسه ، إذ كان واثقاً بأن هذه الدعوة

الناعمة تحمل فى طياتها شرماً أعد له بعناية .. لقد بدأ يحظى

باهتمامهم ، فبالأمس أرسلوا له (لوبال) ، واليوم أرسلوا له

من هى أكثر فتنة ..

وأكثر خطراً .

٨- أمسية مثيرة ..

قال (مدوح) للفتاة ، وهو جالس إلى جوارها في السيارة :

- بالمناسبة إننى لا أرى صديقك الضخم يعترض طريقنا هذه المرة .

قالت وهى تقود السيارة ، ناظرة إلى الطريق أمامها :
- تقصد (لوبال) .. إنه ليس صديقى .. بل يتولى حمايتى فقط .

مدوح :

- حمايتك .. ممن ؟

سيمون :

- من بعض المعجبين الثقلاء .. ممن يحاولون فرض أنفسهم على أحيانا .

مدوح :

- إذن فقد كنت أحد هؤلاء الثقلاء ؛ لذا دفعته إلى التخلص منى فى تلك الليلة .

سيمون :

- مطلقا .. فقد حظيت بإعجابى ، والدليل على ذلك أننا معا الآن ، ولكننى أعتقد أنه قد تمادى فى القيام بعمله ، وحاول أن

يتدخل فى شئونى ، وأن يفرض على من أختارهم ، مما جعلنى أضيق به ، وأسعى لتجنبته عن عمله .

مدوح :

- ولكنك سعيت للتخلص منى هذه الليلة ، وانطلقت بسيارتك تاركة له مهمة القيام بعمله معى .

سيمون :

- لقد كنت أسعى وراء أمر عاجل ، لا يحتمل التأخير ، ولم أكن راغبة فى الانتظار أكثر من هذا على النحو الذى يمكن أن يثير متاعب بينك وبينه ، خاصة وأننى كنت أعرف أنه يمكن أن يتمادى كما قلت لك .

سألها (مدوح) ، وهو يحاول تبين وقع سؤاله عليها :

- ولكن ترى هل أنت التى قمت بتعيينه لحمايتك ، منذ بدء الأمر ، أم أن هذا العمل قد أسند إليه من قبل آخرين ، يقدرون ما لجمالك من تأثير على الكثير من المعجبين ، الذين سيسعون حتماً إلى مغازلتك ، وملاحقتك أينما تذهبين ؟

افتتر ثغر الفتاة عن ابتسامة صغيرة ، وهى ترنو إليه قائلة :

- على كل حال ، لقد انتهى الدور الذى كان يقوم به هذا الرجل ، ولم يعد بإمكانه مضايقتنا بعد الآن .

قالت ذلك وهى تحاول أيضا أن تتبين تأثير كلامها عليه ،

ولكن (مدوح) قال لها فى هدوء :

- إننى واثق من ذلك .

أوقفت الفتاة السيارة أمام منزل صغير منعزل ، محاط بسور خشبي ، ويطل على البحر مباشرة ، قائلة :

- إذن دعنا نتوقف عن الحديث عنه .

وفتحت باب السيارة ، وسبقته إلى فتح باب المنزل ، في حين وقف (ممدوح) لدى السور الخشبي ، وهو يتأمل المكان حوله ، ومالبت أن دلف إلى الداخل ، حيث دعت الفتاة إلى الجلوس ، ثم تركته قليلاً ، وعادت إليه حاملة صينية عليها كوبان من عصير البرتقال ، لتقدم له أحدهما ، ثم جلست إلى جواره على الأريكة ، وهي ترنو إليه بدلال قائلة :

- والآن هل ستخبرني بالأسباب الحقيقية التي دعتك إلى ملاحقتي في الملهى على هذا النحو ؟

قال لها (ممدوح) بخبث :

- هل أنت واثقة أن تلك الأمسية الجميلة لن تضع هباء ، في شرح تلك الأسباب لك .

ضحكت قائلة :

- مازال الليل ممتداً أمامنا .

ممدوح :

- حسناً .. إن أحد تلك الأسباب مثلاً ، التي دفعتني لملاحقتك ، هو علمي بأنك لست سائحة فرنسية كما تدعين ، وإنما تعملين لحساب المخابرات (الأسترلانية) ، برتبة ملازم تحت التدريب .. هل يكفي سبب كهذا ؟

قالت له الفتاة ، وهي تحاول إخفاء أى أثر لكلماته عليها :

- لست جاداً فيما تقوله بالطبع .

أخرج (ممدوح) البطاقة البلاستيكية ، التي حصل عليها من جيب (لوبال) بعد غرقه ، وعليها صورتها ، والبيانات الخاصة بها ، ليبرزها لها قائلاً :

- بل جاداً جداً ، وهذا هو الدليل على ذلك .

تناولتها الفتاة منه قائلة :

- من أين حصلت على هذه البطاقة ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

- من جيب حارسك الخاص ، الذي علمت بالمصادفة أنه يعمل لحساب الجهة التي تعملين لها .

تطلعت إليه الفتاة ، وهي تتفرس في وجهه ، قائلة :

- إنك شديد الجرأة .. ألا تعلم ما الذي يمكن أن يحيق بك ، إزاء حصولك على معلومات كهذه ؟

ممدوح :

- بالطبع .. أعلم أنه يتعين عليّ ، في هذه الحالة ، أن أحمل تلك المعلومات معي إلى القبر ، الذي سيعمل رؤساؤك على إرسالني إليه .

سألته قائلة بشيء من المزاح :

- وما الذي ستفعله في هذه الحالة ؟

قال (ممدوح) ساخراً :

- سأحول بينهم وبين تحقيق هذه الأمنية بالطبع .. ولكي

أثبت لك ذلك ...

وهب واقفا في حركة فجائية ليدفع بقدمه باب إحدى الغرف ، الذي لمحّه ينفرج قليلا ، وقد أطلت منه فوهة بندقية آلية ، وجاءت الدفعة من القوة ، بحيث أطاحت بالرجل المسلح الواقف وراء الباب ، فسقط على الأرض ، وقد أفلتت البندقية من يده ، وقبل أن يلتقطها كان (ممدوح) قد وثب فوقه ، منقضيا عليه بلكمة كالمطرقة أصابت فكّه ، ليحول بينه وبين استعادتها مرة أخرى ، ثم تناول (ممدوح) البندقية ، ليدفع فوهتها بين شفتي الرجل ، قائلا :

- والآن يا عزيزي ستنهض ببطء ، لتخبرني بحقيقة هذه اللعبة كلها .

ولكنه أحس فجأة بفوهة بندقية آلية أخرى تلتصق بمؤخرة رأسه ، وسمع صوتا أجش يأتيه من الخلف ، قائلا :

- ستستمع إلى حقيقة اللعبة مني أنا ، ولكن بعد أن تنهض أنت واقفا على قدميك ، ويداك مرفوعتان إلى أعلى ، تاركا لزميلي سلاحه .

ولم يجد (ممدوح) بدا من إطاعة الأمر الصائر إليه ، فترك البندقية فوق صدر الرجل . الممدد على الأرض ، ونهض واقفا ويداه مرفوعتان إلى أعلى ، وقد تراجع إلى الخلف خطوتين . وفي تلك اللحظة جاءت الفتاة لتقف بالقرب من (ممدوح) قائلة للرجلين :

- أعتقد أن مهمتي تنتهي عند هذا الحد .

ولكن الشخص الآخر ، الذي نهض من فوق الأرض ، صوب إليها سلاحه قائلا :

- بالفعل يا عزيزتي .. مهمتك تنتهي عند هذا الحد ، ولم يعد بنا حاجة إليك .

نظرت (سيمون) إلى البندقية المصوبة إليها في ذعر ، قائلة :

- ما معنى هذا ؟

قال الشخص الذي يصوب سلاحه إلى (ممدوح) في برود :
- معناه واضح .. لقد صدرت الأوامر بقتلك ، فور انتهائك من إحضار هذا الشخص هنا ، على الرغم من أنه يوسفني التخلص من فتاة جميلة مثلك .

بدت ملامح الخوف واضحة على وجهها ، ولكن (ممدوح) غمز لها بطرف عينه سريعا ، وهو يأمل أن تفهم مغزى ما يريد منها أن تفعله ، وبالفعل كانت الفتاة من الذكاء ، بحيث أدركت ما يريد (ممدوح) ، فتغلبت على عوامل الخوف بداخلها ، واقتربت من الرجل الذي يصوب سلاحه نحو (ممدوح) ، وهي تمسح بيدها على وجهه ، وتمد إليه شفيتها في إغراء ، قائلة :
- لا أعتقد أن قلبك سيطاوعك على قتلي .. لماذا لا نكون أصدقاء ؟

بدا على الرجل شيء من الاضطراب ، للأثر الذي أحدثته الفتاة في نفسه ، في حين قال الآخر في غلظة :

- دعنا ننهي هذا الأمر سريعاً ، فلا وقت لدينا لتلك الألعاب .

وبالفعل تمالك الرجل نفسه ، وأمسك برسفها ، ليبعد يدها عن وجهه ، قائلاً بذشونة :

- آسف أنت تعلمين .. لا يمكننا مخالفة الأوامر .. يجب أن تموتى .

واستغل (ممدوح) انشغال الرجل بالفتاة ، وهو يحاول إبعادها عنه ، ليصوب ركلة قوية وسريعة إلى يد الشخص ، الذي يراجعه ، مطيحاً بالبندقية الآلية من يده ، ثم انحنى جانباً ، في اللحظة التي انطلقت فيها رصاصات بندقية الآخر صوبه ، ملقياً بنفسه على الأرض ، في سرعة فائقة .

وكالبرق الخاطف ، كانت يده قد التقطت البندقية الآلية ، ثم انقلب على ظهره ، في اللحظة التي استعد فيها خصمه لإطلاق عدد آخر من الرصاصات في اتجاهه ، ولكن رصاصات البندقية التي يحملها (ممدوح) ، كانت أسرع ، إذ ضغط على الزناد ، ليستقر عدد منها في صدر الرجل ، الذي تهاوى على الأرض ، وفي صدره عدة ثقوب ..

وفي اللحظة التي تناول فيها الآخر مسدسه ، ليصوبه نحو (ممدوح) ، كانت الفتاة قد سبقته بإخراج مسدسها من

حقيبتها ، لتعاجله برصاصة محكمة ، جعلته يهوى صريعاً إلى جوار زميله .

وبقى (ممدوح) راقدًا على الأرض ، والبندقية في يده ، وهو يراقب الفتاة في حذر ، ومتحفظاً لأي تصرف عدواني أوطائش من جانبها ، ولكنها ما لبثت أن ألقت بالمسدس على الأرض ، وهي تتهاوى فوق أحد المقاعد مرندة في ذهول :

- لماذا ؟ لماذا ؟ لقد امتثلت لكل أوامره .. فلم يغدرون بي على هذا النحو ؟

نهض (ممدوح) لينفض التراب عن نفسه ، وهي ينخى البندقية الآلية جانباً ، قائلاً :

- هذا يعطيك فكرة واضحة ، عن أولئك الذين تعملين الآن لحسابهم .

ولكنها دفنت وجهها بين يديها وهي تجهش بالبكاء ، في حين أطلق (ممدوح) زفرة قصيرة ، قائلاً بتهكم :

- يالها من أمسية مثيرة .
وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :
- وخطيرة .

★ ★ ★

٩ - خطة في الأعماق ..

توقفت السيارة بـ (ممدوح) والفتاة ، على مسافة غير بعيدة من القصر ، أو مركز تدريب العملاء الأجانب ، حيث غادرها ليلقى نظرة عليه من بعيد ، بوساطة منظاره المقرّب ، وبعد أن تفحص القصر تمامًا ، والمنطقة المحيطة به ، عاد إلى الفتاة التي ماتزال جالسة في سيارتها ، ويدها على عجلة القيادة ، ليجلس إلى جوارها قائلاً :

- والآن جاء دورك .. تذكرى ما قلته لك جيدًا .

ازدردت الفتاة لعابها ، قائلة :

- إننى خائفة .

قال (ممدوح) ، محاولاً بحث الثقة في نفسها :

- قلت لك : لا تخافى مادمت معك .. ألم تعلمى رغبتك في

مساعدتى ، والانتقام ممن أرادوا الغدر بك ؟

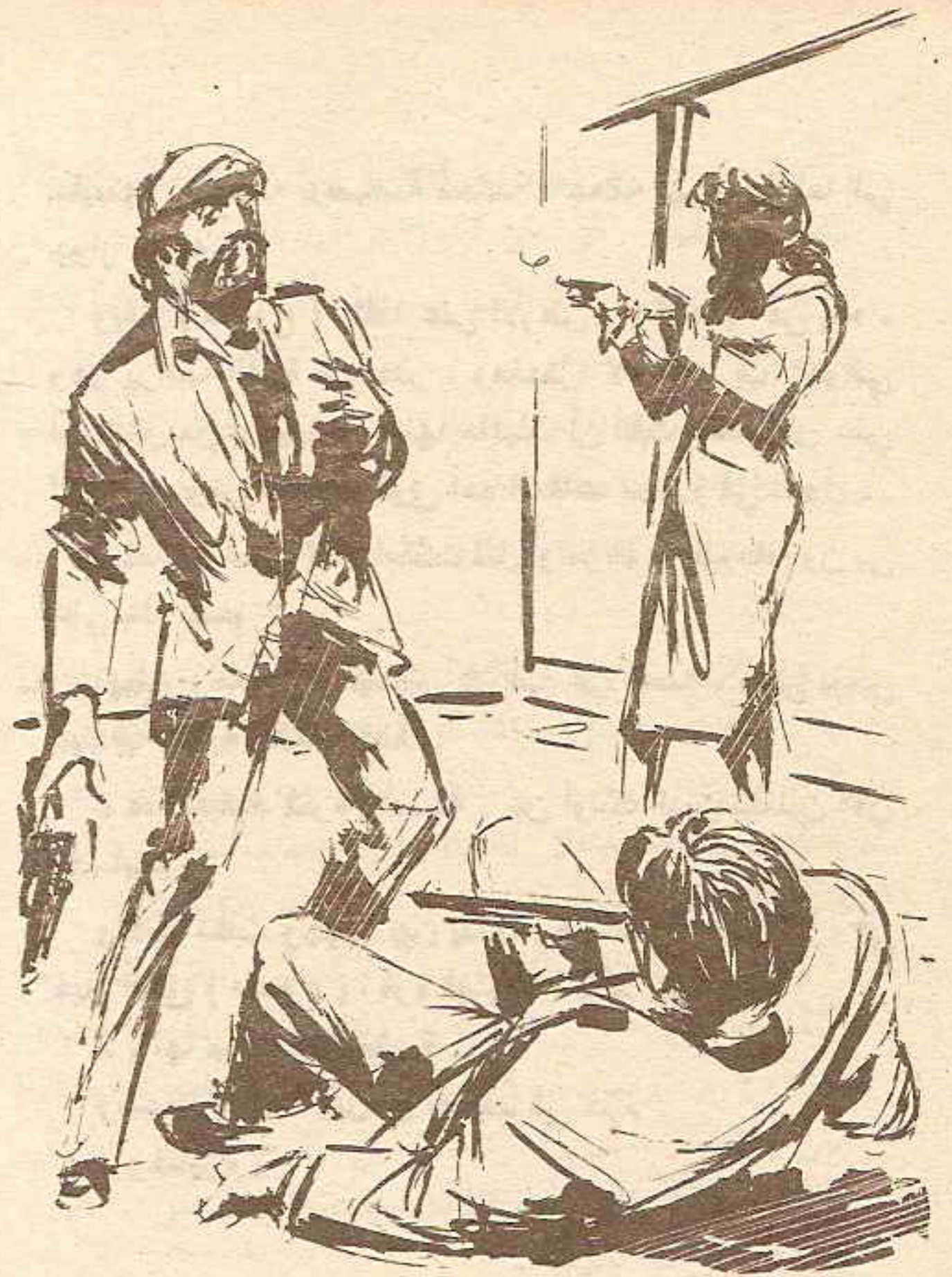
أجابته ، وفي صوتها رنة خوف حقيقى :

- نعم .. ولكنهم لن يرحمونى ، إذا ما كشفوا خيانتى لهم .

ممدوح :

- لو نفذت ما قلته لك ، فلن يكشفوا أى شيء بشأنك ، قبل أن

أصل إليك .. إنك ستخبرينهم بأننى تخلصت من الرجلين ، اللذين



وفي اللحظة التي تناول فيها الآخر مسدسه ، ليصوبه نحو (ممدوح) .
كانت الفتاة قد سبقته بإخراج مسدسها من حقيبتها ، لتعاجله برصاصة محكمة ..

أرسلوهما لقتلى ، وأنت هربت من المكان سريعا ، قبل أن أتحوّل
إليك أيضا ، وجئت إلى هنا لتخبريهم بما حدث .

قالت بصوت متردد :

- ولكن إذا عرفوا ...

قاطعها (ممدوح) قائلا :

- ممن سيعرفون .. الرجلان قُتلا ، وعندما يذهبون إلى ذلك
المنزل ، لن يجدوا سوى جثتين ، وهذه هي الحقيقة التي
ستخبرينهم بها ، فالأموات بالطبع لا يتكلمون .

سيمون :

- ولكنهم يرتابون في الفعل .

ممدوح :

- إذا كانوا يرتابون فيك ، فهذا يعني أنهم سيقفون عليك
لبعض الوقت ، حتى يكشفوا حقيقتك ، كما أنك مازلت بالنسبة
لهم الطعم ، الذي قد يفكرون في استخدامه مرة أخرى
لاصطيادى ، مادامت خطتهم لم تفلح معى هذه المرة ، خاصة
وأنت ستظهرين أمامهم بمظهر برىء تماما ، لا ينم عن معرفتك
بمحاولتهم الغدر بك . وكل المطلوب منك بعد ذلك هو أن تبحثى
عن ذلك المكان ، داخل القصر ، الذى يحتفظون فيه بالملف
السرى ، الذى يحوى أسماء أعضاء شبكة التجسس الأوربية .
وأخرج من جيبه جهازا صغيرا ، فى حجم غطاء زجاجة مياه
غازية ، ليقدّمه لها مستطرذا :

- ثم تضعين هذا الجهاز الدقيق فى مكان خفى من الغرفة ،
واحرصى على أن تحتفظى به بعيدا عن متعلقاتك الشخصية ،
لأنهم لابد سيقتشونها ، وبعد ذلك غادرى الغرفة ، ودعى لى
الباقى .

سألته قائلة :

- ولكن كيف ستخرجنى من هناك ؟

ممدوح :

- سأبدأ عملى فى الواحدة بعد منتصف ليلة الغد ، ويجب أن
تعملى على أن تكونى ، بعد ربع ساعة من هذا الموعد ، بالقرب
من الغرفة ، التى حددتها ، حيث يحتفظون بالملف السرى ،
وبأية وسيلة ، وسأعمل على الهروب بك من هناك .

هزت رأسها غير مقتنعة ، وهى تقول :

- ليس الأمر بمثل هذه السهولة ، التى تحاول أن
تصوّرها .. إن لهم عيوننا فى كل مكان ، داخل هذه القلعة
الحصينة .

ممدوح :

- ولكنك برتبة ملازم ، وكثير من هذه العيون من رجال
الحراسة والرتب الصغيرة ، ما زالوا ينظرون إليك على أنك ذات
سلطان ، وموضع ثقة حقيقية ، وهذه نقطة فى صالحك ، ستتيح
لك حرية الحركة ، وتنفيذ ما طلبته منك ، إذا ما نجحت فى
استخدامها .

صمت برهة ، ثم قال :

- حسنا .. إذا كنت خائفة ومتردة ، فلا داعي للذهاب إلى هناك . سأتولى الأمر بنفسى ، وإن كانت المجازفة فى هذه الحالة ، أكبر ونسبة النجاح ضعيفة .

قالت الفتاة ، بعد لحظة من التردد ، وقد عقدت النية :

- بل سأذهب ، فأنا مصممة على الانتقام من هؤلاء الملاحين ، الذين أرادوا الغدر بى ، بعد إخلاصى لهم .

ثم أردفت قائلة ، وقد ازداد تصميمها :

- سأذهب حتى لو كان فى ذلك نهايتى .

ربت (ممدوح) على كتفها ، وعلى وجهه ابتسامة تشجيع ، قائلاً :

- وأنا لن أتخلى عنك ، وأرجو لك النجاح .

وغادر السيارة ، تاركاً الفتاة تواصل طريقها متجهة إلى القصر ..

★ ★ ★

بدت نظرة الدهشة واضحة ، على وجه الكولونيل (جوساف) ، وهو ينظر إلى الفتاة قائلاً :

- كيف حدث هذا ؟

قالت الفتاة بثبات :

- كما أخبرتك ياكولونيل .. لقد تمكن هذا الرجل من الرجلين اللذين أرسلتهما ، كما تمكن من (لوبال) من قبل .

قال (جوساف) ، وفى صوته رنة تعجب :

- إنهما من أكفأ رجال المخابرات الاسترانية .

صمتت الفتاة برهة من الوقت ، ثم قالت :

- من الواضح أنه يفوقهما كفاءة .. على كل لقد أدبت دورى ، ونفنت ما أمرتنى به بالضبط ، فاستطعت أن أجذبه إلى ذلك المكان ، ولو طلبت منى التصدى له وقتله لما تراجع ، ولكن الأوامر كانت صريحة ، بأن أترك هذا الأمر للرجلين اللذين أرسلتهما الإدارة ، فلم يكن بوسعى إزاء ذلك سوى الهرب ، والعودة إلى مركز التدريب .

تأملها بنظرة فاحصة ، قائلاً :

- وماذا عنه ؟ .. ألم يحاول التعرض لك ، ليمنعك من الهرب ؟

أجابته قائلة :

- كلا .. فقد كان مشغولاً بصراعه مع الرجلين ، فانتهزت الفرصة وهربت .

سألها قائلاً :

- وكيف عرفت إذن أنه نجح فى التخلص منهما ، ماامت تقولين إنك هربت فى أثناء صراعه معهما .

قالت (سيمون) ، دون أن تفاجأ بالسؤال :

- لقد راقبت الموقف لحظة قبل هروبى ، ورأيتة يقضى عليهما ، فوليت هاربة ، قبل أن يبدأ فى البحث عنى ..

جوساف :

- وما الذى تحدث إليك به ، قبل كشفه لوجود الرجلين ؟
هزت كتفها ، قائلة :

- لاشئ ذا قيمة .. بعض المغازلات .. لم يبد أنه يسعى وراء شئ ، ولم يحاول أن يلقى على أسئلة تشير إلى معرفته لحقيقة شخصيتى ، كما أننى لم أستشف من خلال أسئلتي له أى شئ يكشف عن حقيقة شخصيته ، وأعتقد أن هذا سر براعته .
تأملها (جوساف) ، قائلاً :

- يبدو أنك مازلت معجبة به .. خاصة بعد أن توطدت الصلة بينكما .

قالت فى شئ من التحدى :

- لأستطيع أن أنكر ذلك ... إذا كنت تقصد بالإعجاب الناحية المهنية ، فإذا ثبت أن هذا الرجل يعمل لحساب أحد أجهزة المخابرات المعادية ، فهو عميل ممتاز بلا شك .
قال وهو يرمقها بنظرة فاحصة :

- حسناً .. يمكنك أن تنصرفى الآن .

استدارت الفتاة مفادرة الغرفة ، فى حين سارع (جوساف) بتناول سماعة التليفون ، للاتصال بالجنرال (باروخ) ، وإخباره بما حدث ..

وليتلقى التعليمات الجديدة منه ..

★ ★ ★

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة وعشر دقائق ، عندما أوقف (ممدوح) سيارته ، بالقرب من شاطئ البحر ، ونظر فى ساعته ؛ للتأكد من دقة الوقت تماماً ، فقد أخبرته (سيمون) أن نوبات الحراسة حول القصر تتم كل أربع ساعات ، وبالتالي فلم يعد باقياً على تغيير نوبة الحراسة سوى عشرين دقيقة فقط ، عليه استغلالها ؛ للوصول فى الوقت المناسب .. وبسرعة .

نزع ثيابه ؛ ليرتدى ملابس الفوص بدلاً منها ، حاملاً معه حقيبة جلدية ، تحتوى على معداته ، وجهازاً صغيراً ، حملة فى يده الأخرى ، وعاد ينظر فى ساعته مرة أخرى ، وهو يحسب الدقائق والثوانى المتبقية ، ثم ألقى بنفسه فى الماء البارد ، وظل يسبح أسفل الماء والحقيبة والجهاز الإلكتروني الصغير فى يده ، ولكنه سرعان ما توقف عن السباحة ، بعد أن أصبح على مسافة قريبة من القصر .. إذ صدرت عن الجهاز الإلكتروني نذبات سريعة متتالية ، وأخذ يومض ومضات متقطعة ، ونظر (ممدوح) حوله متعجباً ، فلم تكن هناك أجهزة إنذار إلكترونية فى هذه المنطقة من الأعماق ، كما تدل على ذلك نذبات الجهاز ومضاته الإلكترونية .. فهذه الومضات الحمراء تعنى أنه ما يزال فى خط الأمان ، ولكن أى خطأ - ولو صغير - يجعله يصطنم بجهاز للإعاقة الإلكترونية ، أو يقترب من أجهزة إنذار خفية ، سيترتب عليه ازدياد النذبات ، وتحول

هذه الومضات الحمراء إلى اللون الأصفر ، وهو ما يعنى أنه قد تخطى خط الأمان ، وانكشف أمره ..

لقد عمل الاسترطانيون حسابهم لكل شيء ، وبثوا أجهزة إنذار إلكترونية في الماء ، بالقرب من المنطقة المحيطة بالقصر ، كي يمنعوا أية محاولة للتسلل عن طريق البحر ، تماما كما توقع ، لكن المشكلة أين توجد أجهزة الإنذار هذه ، وكيف يتسنى له اختراقها ؟ ..

ونظر (ممدوح) في ساعته ، وقد انتابه القلق .. هل يعود من حيث أتى ، ويرجى الأمر لمحاولة أخرى ؟ .. هل يحاول الوصول إلى القصر ، عن طريق البر ؟ .. ولكن لابد أنه هناك أجهزة إعاقة أخرى أشد تعقيدا ، بالنسبة للخيل مثله ، والوقت يمر سريفا ، وعلى فرض مخاطرته باجتياز خط الأمان ، بالنسبة لأجهزة الإنذار المبكر الإلكترونية ، دون أن تكون هناك وسائل معدة لتدميره ، في حالة قيامه بهذه المخاطرة ، فإن التردد والانتظار سيجعله يصل بعد الموعد المحدد لتغيير الحرس ، وهو ما يعنى كشف أمره ، والقضاء عليه حتما .

أتكون مهمته قد انتهت بالفعل ، عند هذا الحد .. وأصبح يتعين عليه أن يعود من حيث أتى ، وفقا لتعليمات اللواء (مراد) ؟ !

ولكنه لم يعتد الاعتراف بالفعل ، خاصة وأنه ما يزال في البداية ..

وأحسن (ممدوح) بالحيرة ، وهو يدور حول نفسه في الماء ، وفجأة تعالى أزيز الجهاز الإلكتروني في يده ..
الخطر يقترب ..
ولكن أين هو ؟ ..

ولمح (ممدوح) من وراء عدسة الفوص الزجاجية ، التي يضعها على عينيه ، مرور ثلاث سمكات بالقرب منه ، سابحة بسرعة غير عادية ، وقد بدا مظهرها غريبا بعض الشيء ، وسرعان ما انتبه للأمر ...

هذه الأسماك ليست أسماكا حقيقية ، بل هي تبدو هكذا ، في مظهرها فقط ، ولكنها في الواقع أجهزة إنذار مبكر ، على شكل أسماك بحرية ، وهي مصممة على هذا النحو : لكي يتخدع بها أولئك الأشخاص ، الذين يحاولون التسلل إلى القصر ، عن طريق البحر ، ومجهزة بحيث تعطى إنذارا مبكرا للقائمين على حراسته ، لدى اصطدامها بأي جسم أدمى ، يصبح في هذه المنطقة ، فلو كانت إحداها قد اصطدمت بجسد (ممدوح) ، لاشفت حقيقة أمره ، ولكن لحسن حظه أنها مرت إلى جواره ، دون أن تصطدم به ، على الرغم من أن ذراعه كاد يصطدم بإحداها ، ولحسن حظه أيضا أنه تنبه لحقيقتها ، فبلا شك هناك عشرات أخرى غيرها ، وخاصة بالقرب من المنطقة التي تحف بحلوى القصر ، واصطدامه بأي منها سيؤدي إلى كشف أمره ، وإبانه على الفور ..

وأصبح من المتعين عليه أن يعتمد على جهازه الإلكتروني
الكاشف لأجهزة الإنذار ، لكي يحميه أزيزه من اصطدامه بإحدى
هذه الأسماك الخادعة ، كما يتعين عليه أيضا أن يواصل سباحته
ببطء ، وحتى لا تؤدي به السرعة ، أو الحركة الخاطئة ، إلى
التعرض المفاجئ لإحدى هذه الأسماك ، فيتحدد موقعه ، لدى
القائمين على حراسة القصر .

ونفذ (ممدوح) خطته ، فأخذ يسبح بهدوء ، معتمدا على
جهازه الإلكتروني ، في فرز الأسماك الحقيقية من الأخرى
الخادعة ، المزودة بأجهزة الإنذار ، وكادت بعضها تصطدم به ،
لسرعتها غير المألوفة ، ولكنه تفادها بمهارة ، ومالبت أن
وصل إلى الضفة الأخرى ، حيث أطل برأسه فوق سطح الماء ،
قبل موعد تغيير نوبة الحراسة بدقيقة واحدة ..

وفي الثانية عشرة والنصف تماما ، خرج (ممدوح) من
الماء ، صاعدا إلى المنطقة العشبية المحيطة بالقصر ، وقد أعد
خطته ، على أساس أن الواجهة الخلفية للقصر ستكون خالية
من الحراسة ، لمدة دقيقتين على الأكثر ، وقد كانت هذه الفترة
في تقديره كافية ، بالنسبة للتحرك السريع .

مع شيء من حسن الحظ ..

★ ★ ★

١٠ - الملف السري ..

ظل (ممدوح) راظدا على صدره ، وهو يراقب الحراس في
أثناء رحيلهم ، واستعداد المجموعة الأخرى من الحراس
لاحتلال أماكنهم .

ومالبت أن نهض سريعا ، ليركض بخطوات حذرة ، متجها
نحو الأسلاك الشائكة المحيطة بالقصر ..

كانت الأسلاك متصلة بموجات كهربائية صاعقة ، كفيلة
بصعق من يلامسها ، والقضاء عليه في الحال ؛ لذا فقد وضع
(ممدوح) آلة صغيرة (أخرجها من الحقيبة الجلدية التي
أحضرها معه) أشبه بـ (الكوريك) المخصص لاستبدال
عجلات السيارة ، ووضع أسفل السلك الشائك القريب من
الأرض العشبية ، بحيث لا يلامسه تماما ؛ ثم تناول من الحقيبة
أيضا جهازا صغيرا ، مخصصا للتوجيه عن بعد (ريموت
كونترول) ، وأخذ يضغط أزرار الجهاز ، وهو على مسافة
نصف متر من الأسلاك ، فيتحرك بالتبعية الذراع المعدني للآلة
الرافعة ، تحت السلك الشائك ، وكلما ضغط (ممدوح) الزر ،
ازداد الذراع ارتفاعا ، ليدفع السلك معه إلى أعلى ، وقد
تطايرت من حوله شرارات كهربائية ، واستمر (ممدوح) في
الضغط على الزر ، ليزداد الذراع ارتفاعا

إلى أعلى ، دافعا معه السلك الشائك إلى أعلى أيضا ، وبالقدر الذى سمح بوجود فجوة صغيرة ، لمرور جسد ملاصق بالأرض .

وعلى الفور رقد (ممدوح) على ظهره ، وأخذ يزحف ، وهو على هذا الوضع ، مجتازا الأسلاك الشائكة ، وقد حبس أنفاسه ، إذ لم يكن يفصل بينه وبين السلك الصاعق سوى سنتيمتر واحد ، وأى خطأ بسيط فى الحركة ، أوفى طريقة زحفه ، كانت كطيلة بالقضاء عليه فى الحال ، وما أن اجتاز السلك الشائك ، حتى اندفع يركض نحو جدار القصر الخلفى ، وأنصق نفسه بالجدار ، مخرجنا جهازا آخر من حقيبته ، استطاع على ضوء الإشارات الصادرة منه ، والتي تلتقط ذات الإشارات ، من الجهاز الذى قدمه للفتاة (سيمون) ، تحديد موقع الغرفة التى تحتوى على الملف السرى .

كان الظلام حالفا فى المكان ، فيما عدا بعض الإضاءة البسيطة الموزعة فى أماكن متفرقة تحيط بالقصر . وأخذ (ممدوح) يقترب من المدخل الرئيسى للقصر ، وهو يتحرك ملتصقا بالجدار تماما ، وعلى بعد عدة أمتار قليلة من المدخل ، كمن فى مكانه ، وهو يراقب مجموعة من الحرس ، فى طريقها لاحتلال مواقعها ، ورأى أحدهم ينفصل عن بقية المجموعة ، ليمد يده بين مجموعة الشجيرات الصغيرة ، المحيطة بجدار القصر ، وقد أخذ يدير عجلة إلكترونية صغيرة ذات أرقام ، ومتصلة بصندوق معدنى صغير ، يختفى وراء هذه الشجيرات .

وعلى الفور انفتح باب معدنى أمام المدخل ، وتقدم على الأثر ثلاثة رجال آخرون من الحراس ، ليجتازوا المدخل ، فى حين عاد الرجل ليدبر العجلة الرقمية المتصلة بالصندوق ؛ ليقلقه خلفهم .. ثم تابع سيره ليلحق بالآخرين .

وكان (ممدوح) قد تمكن على الرغم من الظلام المحيط بالمكان ، وبوساطة عدسة مخصصة للرؤية الليلية ، تثبيتها فوق إحدى عينيه ، من قراءة الأرقام التى حركها الرجل ، بوساطة العجلة الدائرية ، والتي تمكن بوساطتها من فتح الباب الرئيسى لمدخل القصر .

وعلى الفور ترك (ممدوح) مكانه ، واندفع بكل جرأة نحو الصندوق المعدنى ، ومستعينا بذاكرته القوية ، أخذ يحرك العجلة الرقمية ، وفقا للأرقام التى قرأها ، والتي احتفظ بها فى ذاكرته ، وهو ينظر خلفه من آن لآخر ، ترقبا لبروز أحد الحراس له فجأة ..

كان المدخل مظلما تماما ، فأخرج (ممدوح) مصباحا ضوئيا ، اهتدى على ضوئه إلى قاعة كبيرة ، حيث لمح ثلاثة أشخاص يتبادلون التحية ، قبل أن ينصرف كل منهم إلى جهة مختلفة .

وانتظر (ممدوح) حتى ابتعد الأشخاص الثلاثة ، ثم تقدم على أطراف قدميه ، حتى وصل إلى السلم الخنزونى ، المؤدى إلى الطابق الأول ، مستعينا بالجهاز الذى يحمله ، والذى

يقوده إلى المكان الذي حددته له الفتاة؛ للعثور على الملف ..

واتجه (ممدوح) إلى اليسار ، وسار في الرواق الطويل الممتد أمامه ، وقد ازدادت الإشارات في جهازه وضوحاً ، حتى رأى السهم الضوئي الصغير في الجهاز يشير إلى الجهة اليمنى ، حيث وجد باباً مغلقاً إلى يمينه ، وهم بتحريك أكرة الباب ، ولكنه سرعان ما توقف عن المحاولة ؛ لأنه ما دامت الغرفة تحتوي على مستند سري هام كهذا ، فلا بد أن الباب مزود بأجهزة إنذار خفية ، سرعان ما تنطلق بمجرد محاولته فتحه ..

وعاد لاستخدام جهازه الإلكتروني ، الكاشف لأجهزة الإنذار ، والذي سبق له استخدامه في أعماق البحر .. حيث أخذ يمرره أمام الباب بطريقة رأسية وعرضية ، وسرعان ما انطلقت الذبذبات من الجهاز ، والإشارة الضوئية الحمراء ، لدى اقترابها من أحد أجزاء الباب ، لتكشف عن جهاز إنذار دقيق ، من نوع غير مألوف ؛ حتى أنه يدخل كجزء من أحد أضلاع الباب الخشبي ..

ووجد (ممدوح) صعوبة في التخلص من هذا الجهاز ؛ لدقته وعدم معرفته لطريقة تعطيله عن العمل ، فقرّر استخدام المخاطرة في التخلص من هذا الجهاز ، إزاء ضعف خبراته التكنولوجية في إفساده ، وتعطيله عن العمل ؛ لذا فقد قام بعمل

قطع رأسى من الجهتين ، للضلع الخشبي الذي يحتوي على الجهاز الإلكتروني بوساطة آلة حادة يحملها في يده .

ثم دفع حرف الآلة الحادة وراء الضلع الخشبي ، وأخذ يحركها ببطء ، حتى ظهرت له الأسلاك الرفيعة ، المتصلة بجهاز الإنذار ، والممتدة بين ثنايا الخشب ذاته ، فقام بفصل هذه الأسلاك بعناية عن الجهاز ، ليقطع الدائرة الإلكترونية ، وعندما انتهى كان العرق يتصبب من وجهه غزيراً ، ولكنه قام بتحريك أكرة الباب ، ليجده مغلقاً ، فعاد لاستخدام إحدى أدواته ، التي أحضرها معه في الحقيبة الجلدية ، ليعالج الباب ، ويقوم بفتحه ، وقد اطمأن بشأن جهاز الإنذار هذه المرة .

كما أن الأمر كان أقل صعوبة بالنسبة له ، عن معالجة جهاز الإنذار الإلكتروني ، وخلال دقيقة واحدة ، كان قد تمكن من فتح الباب ، حيث اندفع (ممدوح) إلى الداخل ، وهو يغلقه خلفه .

ووجد خزانة فولاذية مغلقة ، في أحد أركان الغرفة ، فقام مرة أخرى بتمرير الجهاز الإلكتروني ، للتأكد من عدم اتصالها بأية أجهزة للإنذار ، ولكنها كانت خالية من أية ذبذبات إلكترونية ؛ وهنا فتح (ممدوح) حقيبته ، ليخرج منها سماعة تشبه سماعة الطبيب ، ووضعها في أذنيه ، وقام بالإمساك ببوق صغير ، يتصل بالسماعتين بوساطة أنبوب مطاطي صغير ، ليثبتته على الدائرة الرقمية للخزانة ، وهو يديرها بدقة وببطء .

واستمر في إدارة الدائرة الرقمية ، وهو يسجل على ورقة صغيرة الأرقام التي تحدث صوتًا معينًا ، تلتقطه أذناه .

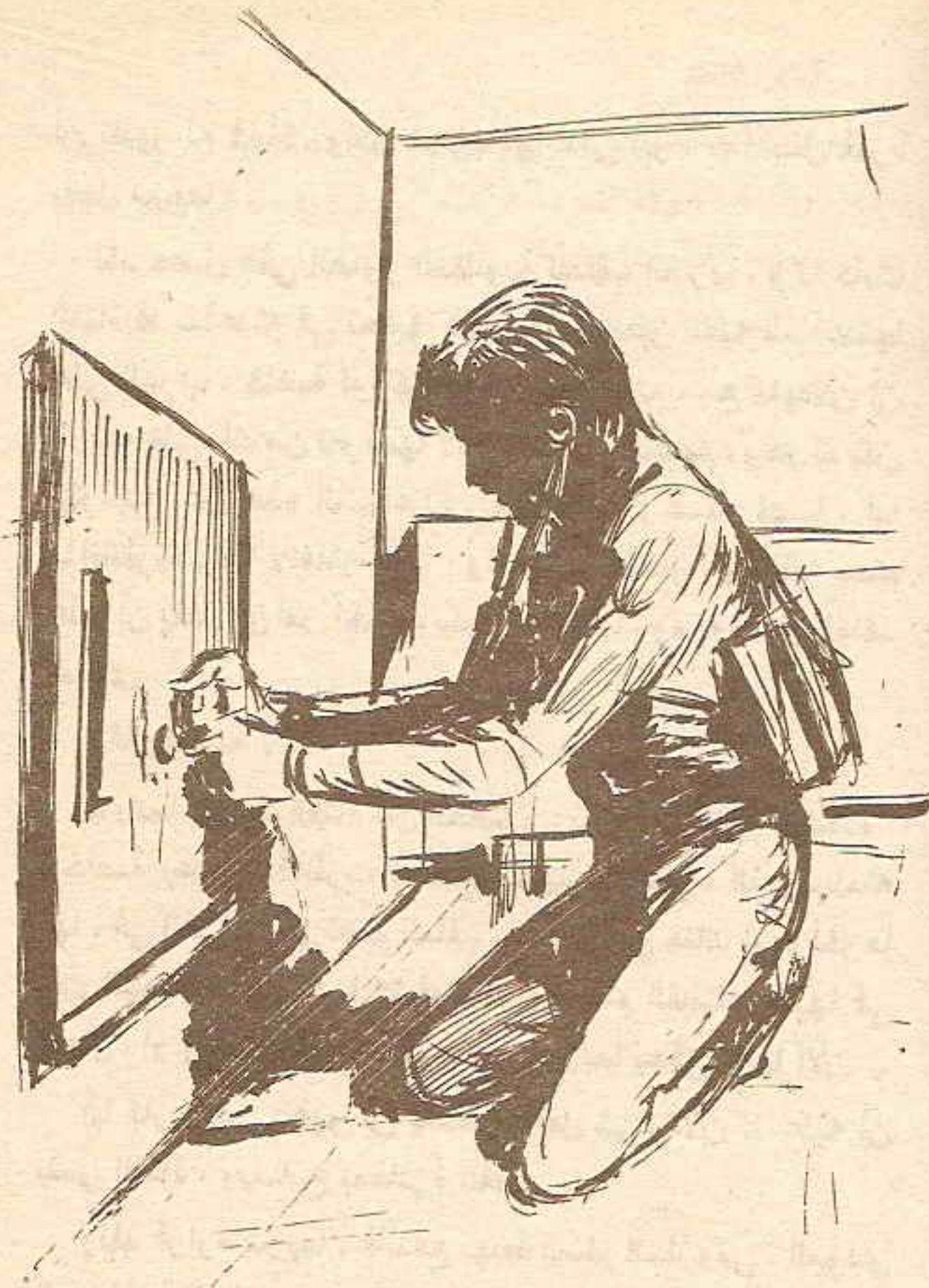
وما أن انتهى من تسجيل الأرقام ، حتى قام باستخدامها مرة أخرى ، وفقًا لترتيبها المدون على الورقة ، ثم أدار أجرة الخزانة ، لتفتح أمامه ، كاشفة عن مجموعة من الأوراق والملفات ، أخذ بفحصها وهو يقلبها سريعًا ، حتى وجد ملفًا أزرق ، عليه عبارة «سري للغاية» .. «أعضاء التنظيم السري للعملاء الأجانب» ..

كان هو الملف المنشود ، ولم يعد متبقيًا أمامه سوى تصوير صفحاته ، وتسجيل أسماء أعضاء التنظيم ، أو شبكة التجسس المعادية ، وأخرج آلة التصوير الصغيرة ، التي أحضرها معه ، وأخذ يعمل على تصوير صفحات الملف .

وما أن انتهى حتى أعاد الملف إلى مكانه ، في ترتيبه الصحيح بين الملفات الأخرى ، ثم سارع بمغادرة الغرفة ، بعد أن استرد الجهاز الدقيق ، الذي وضعته الفتاة ، لارشاده لمكان الملف ، وأعاد تثبيت جهاز الانذار المتصل ببابها في مكانه الأول ، وإغلاقها على النحو الذي كانت عليه ، حتى لا يكشف أحد اقتحامه للغرفة .

ونظر في ساعته ، وتلفت حوله بحثًا عن الفتاة ..

كان قد غادر الغرفة في الساعة المحدودة تمامًا ، ولكنها لم تكن موجودة ؛ فظل يتلفت حوله في الرواق المظلم ، وهو يأمل



واستمر في إدارة الدائرة الرقمية ، وهو يسجل على ورقة صغيرة الأرقام التي تحدث صوتًا معينًا ، تلتقطه أذناه ..

- قف مكانك .

واستدار (ممدوح) ليرى نفسه فى مواجهة رجل يحمل
مدفعا رشاشا ، وقد صوب فوهته فى اتجاهه ، فى حين أخذ
يسير نحوه بخطوات بطيئة ، وعيناه تنطقان بالشرر ..
وكان الموقف دقيقا ..
وحاسما .

★ ★ ★



أن تظهر له فجأة ، ولكن لم يبد لها أدنى أثر ، مما جعل فكره
يعمل سريعا ..

لقد حصل على الصور المطلوبة للملف السرى ، وإذا كانت
الفتاة قد ساعدته فى تحقيق ذلك ، فإنه يتعين عليه مساعدتها
على الهرب ، خاصة لو اكتشفوا خيانتها لهم ، مع ما يمكن أن
يترتب على ذلك من تعرضها لأذى بالغ من جانبهم ، وهو لم يكن
ليراجع عن هذه المساعدة ، والوفاء بوعدده لها ، إذا
ما انتظرتة وفقا لاتفاقه معها ، ولكنها لم تحضر ، وواجبه يحتم
عليه أن يغفل أى أمر آخر ، ويسرع بالهرب ، ومعه صور الملف
السرى .

وقال لنفسه .

- ربما عجزت الفتاة عن الحضور ، نتيجة للرقابة المشددة ،
وخاصة بعد أن خاطرت بوضع الجهاز الدقيق ، الذى سلمته
لها ، فى الغرفة التى تضم الملف ، وربما كان هناك شيء آخرها
عن الحضور ، بل ربما كشفوا أمرها ، فتم القضاء عليها فى
الحال ، أو وضعها فى أحد السجون ، وربما يحقق معها الآن ..
أيا كان الأمر ، فهو لن يستطيع فعل شيء الآن .. عليه أن
ينسى الفتاة ، ويسارع بمغادرة القصر ..

ونفذ قراره سريعا ، فاندفع بهبط السلم الحلزونى ، المؤدى
إلى القاعة السفلية ، متجها إلى مدخل القصر ، ولكن فجأة سمع
صوتا يصرخ فيه قائلا :

١١ - الهروب الدامي ..

قال الرجل في غائلة :

- من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

- جئت لرؤية ذلك القصر العظيم .. يقال : إن له تاريخاً أثرياً .

قال الرجل بلهجة عنيفة :

- تقدم أمامي ، رافعا يديك إلى أعلى .

نفذ (ممدوح) ما أمره به الرجل ، حيث تكلم أمامه وبداه مرفوعتان عاليتا ، وبعد عدة خطوات برز شخص آخر ، تطلع إلى (ممدوح) وهو لا يقل دهشة عن زميله ، قائلاً :

- من هذا ؟

أجابه الرجل الشاهر السلاح ، قائلاً :

- لقد وجدته في القاعة السفلية ، وهو يستعد لمغادرة القصر .

قال زميله ، وقد ازدادت دهشته :

- وكيف دخل إلى هنا ؟

رد عليه الرجل الشاهر السلاح ، قائلاً :

- سنعرف هذا ، عندما نقدمه للكولونيل (جوساف) .

ثم لكز (ممدوح) بماسورة مدسمة في ظهره ، قائلاً :

- هيا تقدم أمامي .

ولكن زميله استوقفه قائلاً ، وهو ينظر إلى الحقيبة الجلدية ، التي يلتف حزامها حول كتف (ممدوح) :

- انتظر .. دعني أفحص هذه الحقيبة أولاً .

وأمر (ممدوح) بخفض يده ، ليتناول الحقيبة ، وهو يجذب حزامها من فوق كتفه .

وتظاهر (ممدوح) بخفض يده ببطء ، ولكنه ضرب براحته ، في قوة وسرعة على موقع معين من جسم الحقيبة .. فانطلق من قاعدتها السفلية سهم رفيع ، ذو رأس سامة ، استقر في أمعاء الرجل الواقف خلفه ، فجحظت عينا الرجل وسقط منه سلاحه في حين وضع يديه على معدته ، وتحشرج صوته ، وهو يترنح ، قبل أن يهوى صريفاً على الأرض .

واستغل (ممدوح) عنصر المفاجأة ، فعاجل الرجل ، الذي حاول أخذ حقيبته ، بلكمة قوية في فكه ، أتبعها بتناول المدفع الآلي ليضربه بمؤخرته المعدنية في وجهه ، مطيحاً به نحو الجدار ، وقبل أن يتمالك الرجل نفسه ، وبدأ في اتخاذ أي رد فعل ، كان (ممدوح) قد ألصق فوهة المدفع برأسه ، قائلاً بلهجة صارمة :

- لو صدر منك أي صوت أو حركة ، فلن أتوانى في الإطاحة برأسك على الفور .

قال له الرجل بصوت متحرج ، وهو ينظر إليه بعينين
مذعورتين :

- سأنفذ ما تريده .

ممدوح :

- أين الفتاة الفرنسية ؟

قال الرجل ، وهو يزبد لعابه بصعوبة :

- أية فتاة فرنسية ؟

ممدوح :

- الملازم (سيمون) .. الوحدة السادسة من مجموعة

التدريب .

قال الرجل :

- لا أعرف .. غالبا في غرفتها الآن .

نظر (ممدوح) إلى عينيه نظرة ثاقبة ، قائلا :

- أنت تكذب .

قال الرجل ، وهو يعاود إزبد لعابه :

- كلا .. هذه هي الحقيقة .

قال (ممدوح) ، وهو يضغط بفوهة المدفع على جبهته :

- عيناى لا تخطنان الكاذبين أمثالك .. المفروض ألا تكون

في غرفتها الآن ، فإن لم تقل الحقيقة ، فسوف أخرس لسانك

الكاذب هذا إلى الأبد .

نظر الرجل إلى فوهة المدفع ، التى تضغط على جبهته ،

وعيناه تتطقان بالخوف ، ثم قال بعد تردد :

- إنها .. إنها مسجونة .. لقد أصدر الكولونيل (جوساف)
أمرًا بوضعها فى السجن اليوم .

ممدوح :

- وأين هو السجن ؟

أجابه الرجل :

- فى الدور العلوى ..

ممدوح :

- حسنا .. ستأتى معى ، لأنها لو لم تكن موجودة ، فى

المكان الذى أخبرتنى به ، فسوف أترك جثتك هناك .

تقدم الرجل خطوتين أمام (ممدوح) ، وقد تصيب منه

العرق ، ثم مالبت أن توقف ، وهو يستدير قائلا :

- كلا .. سأنكر لك الحقيقة .. إنها فى زنزانة تحت الأرض .

قال (ممدوح) :

- كما توقعت فإنك تستمرى الكذب .. أين هذه الزنزانة ؟

استدرك قائلا :

- تذكر أن تكون صادقا معى هذه المرة ، فأنا أضيق ذرعا

بالكذب والكاذبين من أمثالك .

أشار له الرجل إلى إحدى الغرف ، قائلا :

- هذه الغرفة بها مدفأة ، ولكنها لا تستخدم للتدفئة ، إذ أنها

مزودة بمصعد ، يقود إلى عدة زنازين تحت الأرض ، تستخدم

لحساب المخابرات (الأسترتانية) .

ممدوح :

- حسنا .. متفوقني إليها ... هيا تقدم أمامي .

أطاع الرجل ما أمره به (ممدوح) خائفاً ، فتقدمه إلى إحدى الحجرات ، التي كان يلجأ إليها الظلام ، حيث قدم له (ممدوح) مصباحه الضوئي ، ليحدد مكان المدفأة ، التي كانت بها بعض بقايا الأخشاب ، تودى بمظهر مدفأة حقيقية ، وتقدم الرجل ليجثو فوقها على قدميه وركبتيه ، وتبعه (ممدوح) في ذلك ، دون أن يتخلى عن سلاحه ، وقام الرجل بالضغط على زر خفي في المدفأة ، فتحركت لتهبط بهما أسفل أرض الحجرة ، وتقدم الرجل (ممدوح) في ممر طويل مظلم ، وهو يرسل أمامه خيطاً رفيفاً من الضوء ، بوساطة المصباح الضوئي ، الذي قدمه له (ممدوح) ، وفجأة أطفأ الرجل المصباح الضوئي ، واستدار محاولاً مهاجمة (ممدوح) ، مستغلاً عنصر الظلام ، ولكن (ممدوح) عاجله بضربة قوية في وجهه ، من مؤخرة المدفع ، أتبعها بضربة أخرى على رأسه ، هوى على إثرها فاقدًا الوعي ، وبدا أن الجلبة التي أحدثها صراع (ممدوح) مع الرجل قد نبهت آخرين إلى وجود شيء غير عادي ، فنادى أحدهم قائلاً :

- ما هذا ؟ ما الذي يحدث هنا ؟

ولمح (ممدوح) ذلك الشخص ، الذي كان يرتدى ثياباً عسكرية ، وهو يحمل مصباحاً غازياً في يده ، متجهاً نحو

الممر ، فاستند إلى الجدار حتى نفا منه الرجل ، ثم وجه ضربة قوية بمؤخرة المدفع إلى مصباح الغاز ، فحطمه على الفور ، واستغل عنصر المباغتة ، ليوجه ضربة أخرى إلى وجه الرجل ، إنهار على إثرها فاقدًا الوعي بدوره ، واندفع اثنان آخران لاستكشاف الأمر ، وهما مزودان بالسلاح ، ولمح أحدهما (ممدوح) فصوب إليه رصاصة عاجلة من مسنمه ، ولكن (ممدوح) سارع بالقفز على الأرض ، متفادياً الرصاصة ، وتمدد (ممدوح) على الأرض ، ومعه مدفعه ، ليصوب منه عدة رصاصات في اتجاه الرجل ، فأرداه قتيلاً على الفور ، وحاول الآخر إطلاق رصاص سلاحه ، ولكن (ممدوح) أطلق رصاصتين على يده ، فسقط منه سلاحه ، وهو يطلق صرخة عالية ، واندفع إليه (ممدوح) قائلاً :

- أين الزنزانة التي وضعت فيها الملازم (سيمون) ؟

قال الرجل ، وهو يمسك يده الجريحة :

- في نهاية الممر .

سأله ممدوح :

- وأين مفاتيحها ؟

- نظر إلى زميله الملقى على الأرض ، قائلاً :

- إنها مع زميلي .

وتراجع (ممدوح) ثلاث خطوات إلى الوراء ، وهو يصوب سلاحه إلى الحارس ، دون أن يرفع عينيه عنه ، ثم جثا على

إحدى ركبتيه ، وهو مستمر في تصويب سلاحه ، في حين أخذت يده الأخرى تفتش عن المفاتيح ، حتى عثر عليها ، وتناولها سريعا ، ليقتذف بها إلى الرجل الواقف في مواجهته ، قائلا بصوت امر :

- حسنا .. تقدمنى إلى الزنزانة .

نفذ الرجل ما أمره به (ممدوح) ، فصاحبه إلى زنزانة تقع في نهاية الممر ، حيث كانت (سيمون) واقفة ، ويدها قابضة على القضبان ، بعد أن انتهت لضجيج المعركة ، التي حدثت بين (ممدوح) وحراس السجن ، وكانت في حالة يرثى لها ، وقد تهدل شعرها : وبدت ملامح التعذيب واضحة على وجهها ، وما أن رآته حتى تهلل وجهها ، وهتفت قائلة :

- (جلسياس) .. حمدا لله .

تقدم (ممدوح) ليفتح باب الزنزانة ، وهو يدفع الرجل بداخلها ، وسألته قائلة :

- كيف تمكنت من الوصول إلى هنا ؟

قال (ممدوح) :

- لقد وعدتك بأن أساعدك على الهرب من هذا المكان ، وعلى كل .. ليس هذا هو المهم ..

المهم أن نغادر تلك القصر الملعون على الفور ..

هنا ساعدني على وضع الآخرين داخل الزنزانة .

ساعدته الفتاة على جر الرجلين الآخرين إلى الزنزانة ، لكن

في أثناء مساعدتها في جر أحدهما ، أطيقت يد الشخص ، الذي ساعد (ممدوح) في الهبوط إلى مقر السجن ، على قدمها ، وقبل أن يتنبه (ممدوح) للأمر ، كان الرجل قد وضع سكيناً حادة فوق عنقها ، وأطلقت الفتاة صرخة قصيرة ، في حين قال الرجل ، موجها حديثه إلى (ممدوح) :

- ألق سلاحك على الأرض ، وإلا فصلت رأسها عن جسدها .

أطاع (ممدوح) الأمر ، متظاهرا بإلقاء السلاح ، وقال له الرجل :

- والحقيبة أيضا .

نزع (ممدوح) عنه الحقيبة ، فوضعها أرضا ، وقال له الرجل :

- والآن تقدم داخل الزنزانة .

مرة أخرى أطاع (ممدوح) ما أمره به الرجل ، فدخل إلى الزنزانة ، وأشار الرجل إلى سلسلة المفاتيح في باب الزنزانة ، قائلا للفتاة :

- هنا أغلق الباب خلفه .

مدت الفتاة أصابعها لتغلق باب السجن ، فغمز لها (ممدوح) غمزة قصيرة ، وبدلاً من أن تغلق الباب فتحته ، وسارع (ممدوح) يجنبها في قوة إلى الداخل ، في اللحظة التي كانت سكين الرجل تمزق رقبتها فيها ، وحاول الرجل أن يدفع

بسكينه مرة أخرى إلى ظهرها ، ولكن (ممدوح) أغلق باب السجن على يده في عنف فأسقط السكين منه أرضا ، وقبل أن يتيح له فرصة إغلاق باب الزنزانة عليه ، وجذبه من شعره إلى الداخل ، لينهال عليه بعدة لكمات سريعة قوية ، كان لها الأثر الحاسم في إنهاء مقاومته ، وإلقائه مرة أخرى في غيبوبة طويلة ..

ونظرت الفتاة إلى وجه (ممدوح) وقد سقط نصف شاربه الزائف ، من أثر العراك ، وقالت :
- ما هذا ؟ إنه ليس شاربا حقيقيا .

قال (ممدوح) ، وهو يجذبها من نراعها إلى الخارج :
- هذه قصة أخرى .. سوف أرويها لك فيما بعد .. المهم الآن أن نسارع بمغادرة هذا المكان ، قبل أن نستقر ضيوفا لفترة طويلة داخل هذا السجن .

تداول (ممدوح) سلاحه وحقيبته مرة أخرى ، وهو يتجه نحو المصعد ، المختفي داخل المدفأة ، ليستقلاه ويصعدا إلى الغرفة العلوية ، ثم غادرا القصر وهما يركضان ، بعيدا عن نوبات الحراسة المتحركة ، وحاول (ممدوح) أن يتقدم صوب البحر ، وهو يستحث الفتاة على ملاحقته ، ولكنها استوقفته قائلة :

- انتظر .

وسألها في ضيق :

- ماذا حدث ؟

نظرت إلى مجموعة من الحراس ، يقفون بالقرب من الشاطئ ، قائلة :

- لقد لمحنا أحدهم .

نظر (ممدوح) إلى الجهة التي أشارت إليها الفتاة ، فرأى أحدهم يصرخ وهو يشير لزملائه ، مرددا بعض الكلمات غير المفهومة ، وقال لها (ممدوح) ، وهو يتناول قنبلتين يدويتين من حقيبته ، ليقدم إحداها إلى الفتاة ، قائلا :

- لم يعد أمامنا الآن مجال للتراجع .

وألقى قنبلته في اتجاه مجموعة الأشخاص ، الذين كانوا يتقدمون نحوه شاهرين السلاح ، وتبعته الفتاة بالقنبلة الأخرى ، ليحدثا خسائر كبيرة في صفوف أعدائهما ، بعد انفجار القنبلتين ، في حين تقدم (ممدوح) والفتاة خلفه ، ليفتح نيران رشاشه ، على من تبقى منهم ، وحاول اعتراض طريقه ، وكله إصرار على مواصلة طريقه والهرب من القصر ..

ومن الموت ..

★ ★ ★

١٢ - حصار الخطر ..

قدم (ممدوح) ملابس الفوص التي كان يرتديها ، والتي وضعها بين الشجيرات الصغيرة المطلة على البحر ، للفتاة ، لتساعدنا على السباحة تحت سطح الماء ، في حين اعتمد هو على مهارته في السباحة ، وعلى رنتيه القويتين ، في الغطس من أن لآخر تحت السطح ، دون أن يعبا بأسماءك الانذار الخداعية .

فقد انكشف أمره ، وأصبح المكان حوله يدوى بصفارات الانذار ، في حين سلطت أضواء الكشفات الضوئية فوق صفحة المياه ، لتتطلق في أثرها طلقات الرصاص ، في محاولة لاصطياد (ممدوح) والفتاة ..

واعتمد (ممدوح) على حظه ، وتصميمه على المخاطرة ، إذ كان يصعد برأسه فوق السطح لثانية ، لاستنشاق الهواء ، ثم يعود فيغطس مرة أخرى ، وطلقات الرصاص تطارده ، في حين كانت الفتاة بمأمن لمباحثتها في الأعماق .

وما ان ابتعد عن دائرة الخطر ، حتى واصل سباحته بقوة وإصرار ، أملاً في الوصول إلى الجهة الأخرى من الشاطئ ، قبل أن تبدأ المطاردة الحقيقية .

فالأمر لن ينتهي عند هذا الحد بالطبع ، ولا بد أن المخابرات الأسترلانية بأسرها ستسعى خلفه ، وينقبون عليه في كل مكان ، وإذا كان هروبه من القصر ، في ظل كل تلك الاحتياطات الأمنية العتيدة ، يعد أشبه بالمعجزة ، فسيكون بحاجة إلى المزيد من الجهد والحظ ، لمغادرة (أسترلان) ، وتحقيق معجزة أخرى .

ومع ذلك كان سعيدا بمساعدته للفتاة على الهرب ، لا لأنها قدمت له يد المساعدة ، من أجل تصوير أوراق الملف السري ، ولا لأنه وعدنا بمساعدتها على الهرب ، وتمكن من الوفاء بوعدده ، ولكن لأن هروب الفتاة معه سيوحى للمخابرات الأسترلانية بأنه كان الهدف الأصلي ، من تسلله للقصر ، أو مركز التدريب المخصص للعملاء الأجانب ، وسيساعد ذلك على وجود الملف السري في مكانه بالخزانة ، وتلافيه لاية آثار ، تدل على اقتحامه الحجرة ، التي يوجد بها الملف ، وهو ما سيساعد بلا شك ، على إخفاء حقيقة هدفه ، وتوجيه ضربة مفاجئة وحاسمة ، للعملاء التابعين لشبكة التجسس الأوربية ، أو على الأقل كشفهم للمخابرات المصرية .

هذا إذا لم تكن الفتاة قد أخبرتهم بشيء عن حقيقة مهمته ، إثر سجنها وتعرضها لبعض التعذيب ، فكل ما يمكن أن يقدروه ، هو أنه جاء للتجسس على مركز التدريب ، التابع للمخابرات الأسترلانية ، وأنه ساعد الفتاة على الهرب ، من

أجل تحقيق هذا الهدف ، ذلك إذا ما قدر له الهرب ، وهي في صحبته ، قبل أن يضربوا أيديهم عليهما ..

ووصلوا إلى الضفة الأخرى من الشاطئ ، وسبقته الفتاة ، ثم تبعها هو .

واستقل الاثنان السيارة ، التي قادتها الفتاة على الفور بأقصى سرعة ممكنة ، في محاولة للابتعاد عن المكان ، في حين انشغل (ممدوح) في تبديل ثيابه المبتلة بأخرى جافة ، كان قد أحضرها معه في السيارة ، وسألها بعد أن انتهى من تبديل ثيابه .

- لماذا قبضوا عليك ، وأودعوك تلك الزنزانة ؟

قالت الفتاة ، وهي تنظر إلى الطريق أمامها :

- لقد أحسوا بي ، عند انتهائي من وضع الجهاز الذي أعطيته لي ، في الغرفة التي بها الخزانة .

وكان من المفروض ألا أغادر غرفتي ، في فترة النوم المحدودة ، حسب التعليمات الخاصة بمركز التدريب .

ممدوح :

- هل يعني هذا أنهم كشفوا حقيقة العمل ، الذي تقومين به ؟

هزت الفتاة رأسها نفياً ، وهي تقول :

- كلا .. فقد قبضوا عليّ في أثناء وجودي في القاعة

السفلية ، وتعلّلت بأنني أصبت بأرق في أثناء الليل ، فحاولت

التجول في أرجاء القصر قليلاً ، ولكن هذا لم يقنعهم بالطبع ،

وأصبحت موضع شكوكهم ، خاصة وأنني كنت كذلك بالنسبة

لهم من قبل .

ومن ثم فقد قاموا بسجني ، وحاولوا إجباري على الاعتراف بالحقيقة ، ولكنني تمسكت بما أخبرتهم به من قبل .

ممدوح :

- ولماذا لم تعترفي بالحقيقة ؟

رنت عليه قائلة :

- لأنني كنت مصرة على الإنتقام منهم .. ولأنني كنت واثقة أنك ستحضر ، وستنجح في إنقاذي من هذا السجن .

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

- وما الذي جعلك واثقة على هذا النحو ؟

ابتسمت وهي تلتفت إليه ، قائلة :

- لأنني ، ولكن شيئاً ما في شخصيتك يبعث على الثقة ، وهذا عنصر آخر ، دفعني إلى المخاطرة بمساعدتك .

وصمتت قليلاً ، ثم رنت إليه قائلة :

- والآن .. أئن تخبرني من أنت ؟

أمرها بإيقاف السيارة أولاً ، ثم نظر إليها قائلاً :

- (ممدوح عبد الوهاب) من إدارة العمليات الخاصة المصرية .

سيمون :

- تقصد أنك عميل مصري .

ممدوح :

- نعم .. والآن دعينا نغادر هذه السيارة فوراً ، ونبحث

عن وسيلة أخرى للهرب ، فأغلب الظن أن عمليات البحث قد بدأت بالنسبة لنا . في هذه البلدة .

نظرت الفتاة أمامها . عند نهاية الطريق ، وهم تتمتع قائلة :
- بدأ بأسرع مما تتصور .

نظر (ممدوح) إلى الاتجاه الذي نظرت إليه الفتاة ، ليرى رتلا من سيارات الجيب العسكرية ، قائمة في الاتجاه المضاد ، وقد اعتلى إحداها ضابط برتبة كبيرة ، وهو يضع على عينيه منظارا مقربا ، ينظر به تجاههما .

فابتسم (ممدوح) بسخرية . على الرغم من صعوبة الموقف ، وقال :

- يبدو أن الجيش الأسترلاني يستعد للقتال معنا .

قالت الفتاة ، وهي تحاول أن تستمد منه الهدوء .

- هذا يتناسب مع الضجة التي أحدثتها في القصر .. طنقات رصاص وقنابل يدوية .

أمرها (ممدوح) أن تعود بسيارتها إلى الوراء ، فاطاعته الفتاة في الحال ، وتراجعت بسيارتها إلى الخلف ، لتصلح من وضع مقبمتها ، ثم انطلقت بها من حيث أتت .

وفي الحال انطلقت عدة رصاصات من سيارات الجيب في اتجاههما ، وسمع (ممدوح) صوتا يأتي عبر مكبر للصوت ، وهو يأمرهما بالاستسلام ، ولكنه طلب من الفتاة مواصلة طريقها .

وتابعت الفتاة انطلاقها بالسيارة ، تطاردها سيارات الجيب ورصاصات راكبيها ، وأصابته إحدى هذه الرصاصات خزان الوقود فبدأ ، يشتعل .

وعلى الفور أوقف (ممدوح) السيارة ، ثم فتح بابها ، وهو يجذب الفتاة إلى الخارج من ذراعها ، منطلقا بعيدا عن السيارة ، وقد حمل معه حقيبته الجلدية في اليد الأخرى ، وصرخ فيها قائلا :
- اركض بأقصى سرعة .

ثم دفع بها لترقد على الأرض ، في اللحظة التي دوى فيها صوت انفجار السيارة .

نظرت الفتاة إلى السيارة المشتعلة في ذعر ، وهي لاتصدق أنها نجت من هذا المصير المروع ، وساعدها (ممدوح) على النهوض ، قائلا :

- هيا نواصل الركض ، بعيدا عن هذا المكان ، قبل أن يلحقوا بنا .

أطاعته الفتاة على الفور ، وقد زاد خوفها من سرعتها في الركض وراء (ممدوح) ، الذي لجأ إلى إحدى الطرق الفرعية ، محاولا تفادي سلاحيات سيارات الجيب له .

لكن الفتاة أشارت له بالتوقف مرة أخرى ، وهي تلهث من شدة التعب ، وقال لها (ممدوح) ، وهو يستحثها على الجري :

- لماذا توقفت ؟ .. يجب أن تقاومي شعورك بالتعب ، فهم يلاحقوننا ..

ولكن الفتاة وضعت يدها على صدرها ، محاولة التقاط أنفاسها ، وأشارت له باليد الأخرى نحو ثلاث من سيارات المرسيديس السوداء ، التي كانت قائمة من الاتجاه الآخر ، قائلة :

- هذه السيارات أعرفها جيدا .. إنها تابعة للمخابرات الاسترالية ، وقد أرسلت لتتبعنا أيضا .

لمح (ممدوح) إحداها وقد توقفت في نهاية الشارع ، وغادرها أربعة أشخاص ، اثنان منهم مسلحان بالأسلحة الآلية ، في حين وضع الآخران المناظير المقربة على أعينهما ، وهما ينظران حولهما في كل الاتجاهات ، في حين واصلت السيارتان الأخريان طريقهما في اتجاهين مختلفين ، وجذب (ممدوح) الفتاة من ساعدها ، ليلصق الاثنان ظهرهما إلى جدار أحد المباني ، في محاولة لتجنب العدسات المقربة ، ومن الجهة الأخرى كانت السيارات الجيب مازالت تواصل طريقها ، قائمة في اتجاههم .

وكان الرأس باديا على الفتاة ، وهي تهمس قائلة :

- ماذا نفعل ؟ .. لقد أطلقوا علينا من الجهتين .

وحرك (ممدوح) رأسه قليلا ، بعيدا عن الجدار ، ليضع المسلحين يتقدمان بخطوات متأنية ، نحو المبنى الذي يستبان فيه .. لم يكونا قد كشفنا موقعهما بعد ، ولكنهم سيكشفانه

حتفا .. إذا ما واصلنا التقدم ، خاصة وأنه لا يوجد أمامهما ملجأ آخر يلجآن إليه ..
لقد أصبح (ممدوح) ورفيقته بالفعل بين شقى الرعى ، يستعدان لاستقبال الخطر ..
والموت القادم ..

★ ★ ★



١٣ - لحظات الخطر ..

انتظر (ممدوح) حتى اقترب الشخص الأول حاملاً مسدسه ، فجذبه نحوه سريعاً ، واضفاً يده على فمه ، وقد أطبق باليد الأخرى على رسغ الرجل كالطوق الحديدي ، جاعلاً فوهة المسدس موجهة إلى الأرض ، وضرب يد الرجل بقوة في جدار المبنى ، الذي يحتسى به ، ضربات موجهة ، سقط على أثرها المسدس أرضاً ، فأشار للفتاة بالتقاطه ، وبالفعل أسرع (سيمون) تتناوله ، في اللحظة التي كان فيها عميل المخابرات الآخر قد اقترب من المكان ، الذي يدور فيه هذا الصراع ، وما أن رأى زميله على هذا النحو ، حتى سارع بتصويب مسدسه في اتجاه (ممدوح) ، ولكن الفتاة كانت أسرع منه ، وبادرت بإطلاق رصاصة محكمة ، استقرت في صدر الرجل ، وجعلته يخر صريعاً في الحال .

وحمداً (ممدوح) ربه ؛ لأن المسدس كان مزوّداً بكاتم للصوت ، ولأن الطلقة المكتومة ، التي أطلقتها الفتاة ، قد حجبها مدير محركات سيارات الجيب ، القائمة في اتجاههما ، وأصبح من المتعين عليه أن يتخلص من خصمه الآخر سريعاً ، فدفع وجهه إلى جدار المبنى بقوة ، ترنج على أثرها الرجل ، ثم أداره في مواجهته ، ليجهز عليه بلكمة كالمطرقة ، أفقته

الوعي في الحال ، وتناول المسدس الذي سقط من الشخص الآخر ، وهو يستحث الفتاة على الركض معه ..

وكانت إحدى سيارات الجيب قد اقتربت ، ولمح أحد راكبيها (ممدوح) والفتاة ، فسارع بتصويب رصاصة من بندقيته الآلية نحوهما ، ومّرت الرصاصة فوق رأس (ممدوح) ، الذي استدار سريعاً ، ليطلق رصاصة من مسدسه على سائق السيارة ، فأرداه قتيلاً في الحال ، وقد اختلت عجلة القيادة منه ، فاصطدمت السيارة بأحد جدران المبنى ، وانقلبت على الأرض براكبيها ، في حين تابع (ممدوح) والفتاة ركضهما ، ليجتازا عدداً من المباني المتهنمة ، وتوقف (ممدوح) أمام منزل قديم ، دفع بابه الحديدي أمامه ، فافتح بصعوبة ، وقال (ممدوح) :

- سيكون هذا ملجأنا مؤقتاً .

نظرت الفتاة إليه قائلة :

- ولكنهم سيكشفون مكاننا سريعاً .

قال (ممدوح) ، وهو يساعدها على الدخول ، مغلماً باب المنزل خلفهما :

- هل لديك اقتراح أفضل ؟

ثم استطرد ، وهو يصحبها إلى الداخل :

- على كل ، لو سارت الأمور على ما يرام ، فسوف يكون هذا المكان وسيلتنا الحقيقية للهرب .

سألته الفتاة ، وهى تجتاز معه ممراً قصيراً ، لتصعد بعده فوق عدة درجات رخامية متهنئة :
- كيف ؟

استخدم مفتاحاً معه ، فى فتح الباب الخشبى من الداخل ،
قائلاً :

- هذا المنزل القديم يمتلكه أحد أصدقائى فى (أسترتان) ،
فقد حدد لى مكانه ، وقدم لى مفتاحه ، للجوء إليه فى حالة
الخطر ، كما أن به مخبأً سرياً بالداخل أيضاً ، من الممكن أن
يساعدنا وقت الأزمات .

كان المنزل من الداخل مكوناً من حجرتين ، وردة
صغيرة ، وكان متبقياً به بعض الأثاث القديم المتهالك ،
وصندوق خشبى كبير ، تعلوه الأتربة ، يحتل ركناً من أركان
حجرة ، ذات سقف متداع ، ولم يكن بالمنزل كهرباء ،
ولاتوصيلات للمياه ، فاعتمد (ممدوح) على مصباحه
الضئلى الصغير لتبين المكان ، وتهالكت الفتاة ، وقد أدركها
تعب شديد ، فألقت نفسها فوق الفراش القديم ، الذى تعلوه
الأتربة ، وراحت فى سبات عميق ، دون أن تهتم بأى شئ
آخر ، مما يدور حولها ، فى حين تمدد (ممدوح) على
الأرض ، وقد فضل الاحتفاظ بعينييه متيقظتين ، وبالمسدس فى
يده تحسباً لأى خطر قد يتعرض له على الرغم من أنه كان فى
شدة التعب والإرهاق بدوره ..

ولم يقو (ممدوح) على مقاومة سلطان النوم لفترة
طويلة ، وسرعان ما ثقل جفناه وتراخت أصابعه حول
المسدس ، ليروح فى ثبات عميق أيضاً ..

ومرت نصف الساعة ، وهو مستغرق فى النوم على هذا
النحو ، ولكنه هب من نومه فجأة منتفضاً ، إثر إحساسه بشئ
يلامس ساعده ، وأطبقت يده على الزناد ، وهو يدفع هذا الشئ
بعيداً عنه ، مصوبة إحدى طلقات المسدس فى اتجاهه ، ثم
أضاء مصباحه الضئلى الصغير ، فى اتجاه الرصاصة التى
صوبها ، ليكتشف أن هذا الشئ ليس سوى مجموعة من
الفئران الصغيرة ، قفز أحدها إلى فراعه ، فأطلق زفرة
قصيرة ، ثم نظر فى اتجاه الفتاة التى لم تفلح الرصاصة
المكتومة فى إيقافها ، وفرك جفنيه ، ثم نهض مؤثراً الوقوف
والحركة ، بدلاً من الرقود ، حتى لا يغلبيه النوم مرة أخرى ،
وأخذ يتنقل فى أرجاء المنزل المتداعى ، حيث قادتة قدماه إلى
سطحه ، وفجأة سمع وقع أقدام ، فأطل برأسه إلى أسفل ،
ليرى خمسة أشخاص ، بعضهم يرتدى الملابس المدنية ،
والبعض الآخر يرتدى الثياب العسكرية ، وهم يدفعون الباب
الحديدى الخارجى للمنزل ، مقتحمين المكان .

وأسرع (ممدوح) بالمرحاض على الفور ، لينخل إلى المنزل
عن طريق إحدى النوافذ الخلفية ، فى حين كان الرجال الخمسة
يعملون على تحطيم الباب الخشبى للمنزل ، فى محاولة منهم
لاقتحامه من الداخل .

واندفع (ممدوح) يفتح باب الحجرة ، التى ترك فيها الفتاة نائمة ، فوجدها وقد هبت مذعورة ، وقد أمسكت المسدس ، تصوبه فى اتجاه الباب إثر سماعها لصوت أولئك الرجال ، وهم يحاولون تحطيم باب المنزل ، وهتف بها (ممدوح) مطمئنا ، وهو يدعوها إلى تتبعه ، ثم اتجه بها إلى غرفة أخرى ، حيث يوجد الصندوق الخشبى ، القائم فى أحد أركان الحجرة ، فرفع غطاءه ، وأزاح عنه أكوام الثياب القديمة ، حتى كشف قاعدته .

وسأله الفتاة ، وهى تستمع إلى صوت تحطيم الباب ، وتتلفت حولها فى قلق ، وأصابها متوترة حول زناد المسدس الذى تمسكه :

- ماذا تفعل ؟

أجابها (ممدوح) قائلا :

- ستعرفين حالا .

وضع (ممدوح) أظفاره بين حافة القاعدة الخشبية وجدار الصندوق ، ليرفعها إلى أعلى بصعوبة ، والتفت إلى الفتاة ، قائلا :

- هيا .. انزلى هنا .

نظرت الفتاة إليه ، وإلى الفجوة التى كشف عنها رفع قاعدة الصندوق الخشبى ، قائلة بدهشة :

- ما هذا ؟

قال (ممدوح) ، وهو يتناول ذراعها ، ليساعدها على الهبوط فى سرعة :

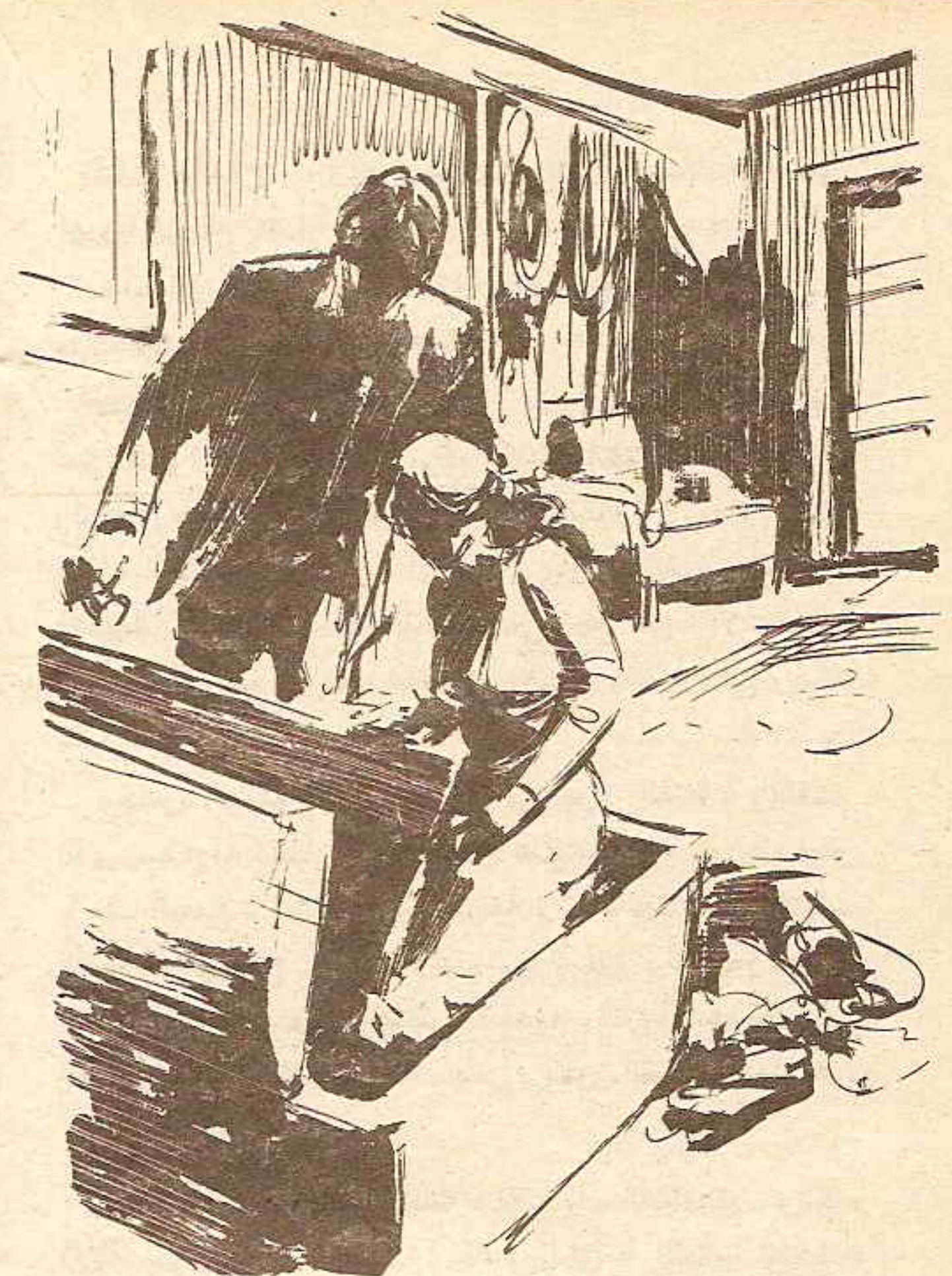
- ألم أقل لك : إن هذا المنزل يحتوى على مخبأ سرى ؟ ..
هناك قبو سرى أسفل هذا الصندوق .

هبطت الفتاة إلى القبو السرى ، وهى تثب وثبة صغيرة ، عبر الفجوة التى ظهرت إثر رفع القاعدة الخشبية للصندوق ، وتبعها (ممدوح) فى الوثوب ، داخل الفجوة ، بعد أن أغلق غطاء الصندوق والقاعدة الخلفية ، وكومة الثياب القديمة فوقهما ، حدث ذلك فى اللحظة التى نجح فيها الأشخاص الخمسة فى اقتحام المنزل بالفعل ، وأخذوا يتنقلون فى أرجائه بحثا عنهما ..

وجلس (ممدوح) القرفصاء إلى جوار الفتاة ، وبالقدر الذى يسمح به المكان ، وقد قبض على مسدسه بدوره ، وهو يرهف السمع ، وساد الصمت برهة ، ثم مال بث أن سمع باب الحجرة وهو يفتح ، ووقع الأقدام تتحرك فوق رأسيهما ، ودعا الله ألا يلفت الصندوق الخشبى انتباههم ، لكن أحدهم نظر إلى الصندوق ، قائلا لأحد رفاقه ، ممن يرتدون الثياب العسكرية :

- افتح هذا الصندوق .

نفذ الرجل ما أمره به رئيسه ، ففتح باب الصندوق ، والتفت ثلاثة منهم حوله ، وأخذوا يقلبون كومة الثياب القديمة بداخله ، فى حين توترت أصابع (ممدوح) حول زناد



هبطت الفتاة إلى القبر السرى ، وهى تشب وثبة صغيرة ،
عبر الفجوة التى ظهرت إثر رفع القاعدة الخشبية للصندوق ..

المسدس ، وهو يستعد لمواجهة حتمية ، أما الفتاة فقد تلاحت
أنفاسها ، وهى تهمس قائلة :
- لقد وضعوا أيديهم علينا .

ولكن (ممدوح) سارع بوضع يده على شفتيها برفق ،
يمنعها من الكلام ، وهو يرفف السمع ، ناظرا إلى أعلى ، حتى
سمع صوت أحدهم يقول :

- ماذا تفعلون ؟ لاشئ فى ذلك الصندوق ، سوى تلك
الثياب القديمة المهلهلة .

وأغلق أحدهم غطاء الصندوق ، وهو ينفذ عن يده
التراب ، فى حين قال شخص آخر :
- لا أثر لهم ، فى هذا المنزل أيضا .
ورد آخر قائلا :

- فلنواصل البحث فى المنازل المجاورة ، فهم لم يغادروا
هذه المنطقة ، ولن ندعهم يغادرونها بأى حال من الأحوال .
وتنفس (ممدوح) والفتاة الصعداء ، وهم ينصتون إلى
وقع الأقدام ، وهى تتحرك فوق رؤوسهم مرة أخرى ، مغادرة
الحجرة ، وانتظرا قليلا ، ثم غادرا مخبأهما السرى ، ليرفعا
غطاء الصندوق الخشبي الكبير وهما يقفزان فوق أرضية
الحجرة .

ومرة أخرى تنفسا الصعداء .

★ ★ ★

١٤ - الساعات الأخيرة ..

سألت الفتاة قائلة :

- والآن ما الخطوة التالية ؟

قال (ممدوح) ، وهو يلقي نظرة من وراء الستار المدلى على النافذة إلى الخارج .

- لست أرى .. يتعين علينا أن نصل إلى البلدة المجاورة أولاً ، للحاق بصديقنا هناك ، فهو وحده الذى يستطيع أن يدير أمر هروبنا من (أسترتان) الآن ، ولكن كيف يتسنى لنا ذلك ، وهناك عشرات من الرجال يجوبون المنطقة بحثاً عنا ؟ ..

أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر ، حتى تهدأ حدة عمليات البحث عنا فى هذه المنطقة ..

ربما ينسوا من العثور علينا ، وبدءوا فى البحث فى مناطق أخرى ، عندئذ قد تتاح لنا الفرصة ، لمغادرة هذا المنزل تحت جناح الليل ، علنا نجد وسيلة للهروب من هذه البلدة ، واللجوء إلى البلدة المجاورة .

ثم نظر إليها قائلاً ، وهو يشفق عليها من مظاهر التعب ، التى بنت واضحة على وجهها :

- عودى إلى النوم ، فأنت بحاجة إلى الراحة ، ويمكنك أن تطمئنى ؛ فسأبقى ساهراً لتولى حمايتك ، ومراقبة الأمور .

وقالت الفتاة فى خوف :

- هل تعتقد أنهم سيعاودون البحث عنا ، فى هذا المنزل ؟

أجابها ، وهو يحاول أن يبتطمأنينة فى نفسها :

- هذا أمر غير مستبعد ، ولكن لا تنسى أن لنا مخبأنا السرى .

ثم ربت على كتفها قائلاً :

- اطمئنى .. ستكون الأمور على مايرام فى النهاية .

ولكنه هو نفسه لم يكن واثقاً من أن الأمور ستكون على مايرام ، وسط هذه الظروف ، بأى حال من الأحوال ، إلا أنه راقبها وهى تعود إلى الفراش ، فتلقى عليه جسدها المنهك ، فى حين استمر هو يراقب الموقف من وراء الستارة المدلاة ، ويده لا تفارق مسنمه ..

ومرت عدة ساعات و (ممدوح) واقف فى مكانه ، وقد قارب الفجر على البروغ ..

كانت الليلة باردة للغاية ، وأحس بأن أطرافه تكاد أن تتجمد من شدة البرد .

فتوجه نحو الفتاة النائمة ، ليتيقن من إحكام الغطاء فوقها ، ثم اتجه إلى الغرفة التى تحتوى الصندوق الخشبى ، على يشر بين كومة الثياب القديمة على معطف أو سترة صوفية ، أو ماشابه ذلك ، ليقى به نفسه قسوة البرد ، ولكن وبينما هو مستغرق فى البحث ، عن شيء يقيه شدة البرد ، بين طيات الثياب الموجودة داخل الصندوق ، إذا بباب الحجرة يفتح خلفه فجأة ، وسمع صوتاً أمراً يقول :

- قف مكانك دون حراك .

وقبل أن يفكر (ممدوح) في تناول المسئس ، الذي وضعه في جيبه ، في أثناء تفتيشه للملابس ، عاد الصوت بأمره قائلاً :

- دعني أر يدك عاليتين .

أطاع (ممدوح) الأمر ، ولكنه أحس أن هذا الصوت ليس غريباً عنه ، وأنه سبق أن سمعه من قبل ، ثم وجد إذا توضع على كتفه ، لتثيره إلى الخلف ، وصاحب الصوت يقول :

- اطمئن يا صديقي إنه أنا (خارديس) .

نظر إليه (ممدوح) غير مصدق ، وقد تراخت ذراعاها إلى جوارها ، وهو يطلق زفرة قصيرة حارة ، لتلك المفاجأة التي أحدثها الرجل .

وضحك (خارديس) قائلاً :

- هل أخفكت ؟

قال (ممدوح) مذهشاً :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسم (خارديس) قائلاً :

- لي وسائل خاصة .. ثم هل نسيت أن هذا منزلي ، وأستطيع أن آتي إليه في أي وقت ، حتى لو كان قديماً متهاكاً على هذا النحو ؟

ممدوح :

- أعني كيف تمكنت من دخول المنزل ، دون أن أراك أو أحس بك ؟

خارديس :

- جئت من باب خلفي ، بينما كنت أنت تراقب مدخل المنزل .

ممدوح :

- وكيف عرفت أنني هنا ؟

خارديس :

- هذا أمر طبيعي .. فنبأ تسلك إلى القصر وهروبك منه بصحبة الفرنسية أصبح شائعة ، بين أوساط المخابرات الاسترلانية ، وكما توقعت فإنك توجهت إلى منزلي القديم إثر هروبك ، كما اتفقت معك من قبل .

ولكن الأهم من ذلك هو أن هذا الأمر قد أثار قلق الاسترلانيين ، على نحو كبير ، ودفعهم إلى إطلاق جنودهم ورجال مخابراتهم ، في أرجاء البلدة ، بحثاً عنك وعن صديقك ، بحيث أصبحت البلدة شبه محاصرة ، وهذا يعني أنك تواجه مأزقاً حقيقياً ، ومستوية بالغة في مغادرتها .

ممدوح :

- هل علموا بأمر المنفذ السري ؟

خارديس :

- لا يبدو ذلك حتى الآن . لقد حضرت بنفسى ، مع السيارة المخصصة لتوريد الأطعمة ، إلى مركز التدريب ، كما هي عادت منذ قدومك إلى (أستران) ، للاطمئنان عليك ، وجمع معلومات بشأن عملياتك ، ثم تقديم المساعدة في حالة تأزم الأمور .

وعندما علمت بما حدث ، وبأنهم لم يضعوا أيديهم عليك بعد ، ضمنت أنك لابد قد جئت إلى هنا ، فحضرت إلى المنزل على الفور ، ولم يشكل ذلك بالنسبة لى أية صعوبة ، على الرغم من الرجال المنتشرين بالخارج بحثاً عنك ، فأنا معروف بالنسبة لهم ، كما يعلمون أن هذا منزلى ، فضلاً عن أننى لم أنس توجيه اللوم الشديد لهم لاقتحامهم منزلى على هذا النحو ، دون استئذانى ، كما فعلوا منذ عدة ساعات .

ممدوح :

- المهم الآن كيف سنغادر هذا المكان ، فى ظل تلك الظروف ؟

خارديس :

- لقد دبرت ذلك ... ستفانرونه بصحبتي بالطبع .

ممدوح :

- بصحبتك .. كيف ؟

خارديس :

- فى سيارة المأكولات ، التى تركتها أمام الباب الخلفى .

ممدوح :

- لكن ...

ولكن (خارديس) لم ينتظر حتى ينتهى (ممدوح) من كلامه ، بل تحرّك نحو باب الغرفة ، ليتناول حقيبة أحضرها معه ، كان قد تركها لدى الباب ، وقدمها إلى (ممدوح) قائلاً :

- خذ هذه .. إن بها بعض الملابس ، الخاصة بعمال الخدمة فى مطعم (خارديس) .. لقد حضر اثنان منهما معى فى السيارة ، لتقديم الأطعمة المطلوبة إلى المشرفين على مركز التدريب ، ولكننى صرفتهما على إثر الانتهاء من عملهما ، وطلبت منهما العودة إلى المطعم بوسيلة مواصلات أخرى ، وبذلك ستعودان معى على أنكما عاملان من عمال مطعم (خارديس) .

ويوجد فى الحقيقة أيضاً بعض وسائل التنكر ، التى ستتيح لك تغيير ملامحك الزائفة كبجار ، لتصبح أحد عمالى ، كما أن ما بها يكفى لكى يحول رفيقتك إلى هيئة رجل ، هذا إذا كنت تريد أن تصحبها معك .

أجابه (ممدوح) على الفور .

- نعم .

خارديس :

- حسن .. أسرعاً بارتداء الملابس ، واستعمال أدوات التنكر ، ثم اصعدا إلى الصندوق الخلفى لسيارة المأكولات ، بذلك يمكننا ، بالإضافة إلى علاقاتى الشخصية ، أن نغادر البلدة ، دون أن نشير شكوكهم ، حتى لو اقتضى الأمر تفتيش السيارة ، وفحص ما يحويه صندوقها الخلفى .

أيقظ (ممدوح) الفتاة ، ليستبدلا ثيابهما سريعاً ، ويقوما باستخدام أدوات التنكر ، التى غيرت من هئتهما تماماً ، ثم

اندفعوا لمغادرة المنزل في هدوء ، ليثبا إلى الصندوق الخلفي للسيارة وأغلق (خارديس) أبوابه عليهما ، وذلك قبل بزوغ الفجر بثلاث دقائق فقط ، في حين احتل هو مكانه ، أمام عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة بعيداً عن المكان ..

ونجحت المحاولة .. إذ تمكّن (خارديس) من مغادرة البلدة بسيارته دون أن يلفت إليه الأنظار ، و (ممدوح) والفتاة بداخلها ، حتى وصلت السيارة إلى المطعم ، حيث تسلل منها (ممدوح) والفتاة إلى الباب الخلفي ، وصحبهما (خارديس) إلى غرفة مغلقة ، قائلاً :

- عليكما بالانتظار هنا .. لا أريد أن يشعر بكما أحد من العاملين .

وأمسك (ممدوح) نراعه ، قبل أن يغادر الغرفة ، قائلاً :

- وماذا بعد ؟

سأله (خارديس) قائلاً :

- وماذا تعني بماذا بعد ؟

ممدوح :

- كيف سمعنا مغادرة (أسترتان) ؟

ابتسم (خارديس) وهو يفتح أحد أراج مكتب صغير ، قائم في ركن من الغرفة ، ليستخرج منه جوازي سفر ، قائلاً :

- بهنئين الجوازين .. لدى خبير في تزييف جوازات السفر ،

وسوف يجرى اللازم ، لتجهيز هذين الجوازين ، بحيث يصبحان صالحين لكما ، لمغادرة (أسترتان) .

ممدوح :

- إننى أفضل الهرب عن طريق الحدود ، فالمطارات لن تكون مأمونة ، بأى حال من الأحوال ، فى ظل تلك الظروف ، مهما كانت براعة الشخص الذى سيتولى إعداد جوازي السفر .

ابتسم (خارديس) قائلاً :

- هذا إذا كنت ستسافر أنت والفتاة وحكما ، وليس بصحبة شخص مهم ، وله علاقاته مثلى .

قال (ممدوح) بدهشة :

- هل تعنى بذلك أنك ستسافر معنا ؟

قال (خارديس) ، وقد اتسعت ابتسامته :

- نعم .. من حسن حظك أنك أتممت مهمتك ، قبل أن تبدأ إجازتى السنوية ، التى أقضيها دائماً فى (اليونان) بيومين فقط .

لذا سيكون أمراً عادياً أن أسافر إلى بلادى الأصلية ، كما اعتدت دائماً ، فى مثل هذا الوقت من العام .

وسيكون عادياً أيضاً أن أصطحب معى اثنين من أصدقائى ، وأبناء بلدتى فى أثناء السفر ، مما يبعد الشكوك تماماً عنكما ، ويساعد على إتاحة الفرصة لكما لمغادرة البلاد .

ممدوح :

- انن فسنذهب إلى (اليونان) .

خارديس :

- نعم .. هذا هو الأكثر أمنا بالنسبة لكما الآن ، ومن هناك يمكنك أن تعود إلى (القاهرة) ، ويمكن للفتاة أن تعود إلى (فرنسا) .

قال (ممدوح) ، وهو يشعر تجاهه بامتنان حقيقى :
- ألن يشكل هذا الأمر بالنسبة لك أية خطورة ، خاصة إذا كشف الأسترتانيون حقيقة هروبنا إلى الخارج ، وأنتك أسهمت فى تحقيق ذلك ؟

خارديس :
- بالطبع أنهم سيكتشفون حقيقة الأمر فى النهاية ، وسيعرفون أننى كنت أعمل لحساب المخابرات المصرية ، ولكن هذا سيكون بعد فوات الأوان .

إذ إننى لن أعود مرة أخرى إلى (أسترتان) .. لقد صدرت لى الأوامر بمغادرتها نهائيا ، والتخلى عن مطعم (خارديس) فى شارع (اليسكارين) إلى الأبد .

ابتسم (ممدوح) قائلا :
- سيكون هذا خسارة فادحة بالنسبة لك .
خارديس :

- ليس على النحو الذى تتصوره ، فسوف أستبدل بالمطعم فندقا صغيرا ، ولكنه يبر دخلا طيبا طوال العام ، فى أحد المواقع الهامة فى (مصر) .

حنق (ممدوح) فيه بدهشة ، قائلا :

- فى (مصر) ؟
خارديس :

- نعم .. إنها هدية المخابرات المصرية ، مكافأة لى على عملى لحسابهم ، طوال السنوات الماضية ..

لقد قررت أن أعزل ، وأعيش بقية عمرى فى هدوء ، ولن يتاح لى ذلك ، إذا ما بقيت فى (اليونان) ، فالمخابرات الأسترتانية ستتتبعنى هناك ، لتوقع بى العقاب المناسب .

لذا فوجودى فى (مصر) سيوفر لى الأمان الكافى ، ثم لا تنس أن (مصر) هى وطنى الثانى ، كما أخبرتك من قبل .
ابتسم (ممدوح) ، وهو يربّت على كتف الرجل ، قائلا :
- (مصر) يسعدنا أن يكون على أرضها شخص مثلك ، أيتها الصديق العزيز ..

★ ★ ★

حلقت الطائرة الأسترتانية ، وعلى متنها (ممدوح) ورفيقاه ، دون مشاكل تذكر ، مغادرين (أسترتان) .

ومن هناك عادت الفتاة الفرنسية إلى بلادها ، فى حين استقل (ممدوح) و (خارديس) الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) .

أحدهما يحمل أحلامه معه ، بعد عودته إلى الأرض التى عاش فوقها من قبل وأحبها .

والآخر يحمل معه هدية رائعة للمخابرات المصرية ، هى

مجموعة من الصور ، التى تكشف نشاط أخطر شبكات
التجسس المعادية لبلادہ ..

وتخيل (خاربیس) ، وهو ينظر من نافذة الطائرة ، الطريقة
التى سببتبعها فى إدارة فندقه الجديد ، فى حين تساءل
(ممدوح) عما ستكون عليه المهمة القادمة ، التى سيستندھا
إليه اللواء (مراد) .

وظلت الأحلام والتساؤلات والتخيلات تدور فى ذهنيہما ،
حتى أفاقا منها على صوت مضيفة الطائرة ، وهى تعلن لهما
عن دخول الطائرة إلى المجال الجوى المصرى ، وتحليقها فوق
مطار (القاهرة) ، و ...
ونہاية المغامرة .



(تمت بحمد الله)

المؤلف



أ. شريف شوقي

الملف السري

وبقوة غير عادية ، خلفها التحدى
والإصرار ، جذب (ممدوح)
المجذاف نحوه ، جاذباً معه غريمه ،
ليهوى به إلى البحر ..

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

ساعة الصفر

العدد القادم



التمن في
مصر

١٠٠

وما يعادله
بالدولار
الامريكى
في سائر
الدول
العريضة
والعالم